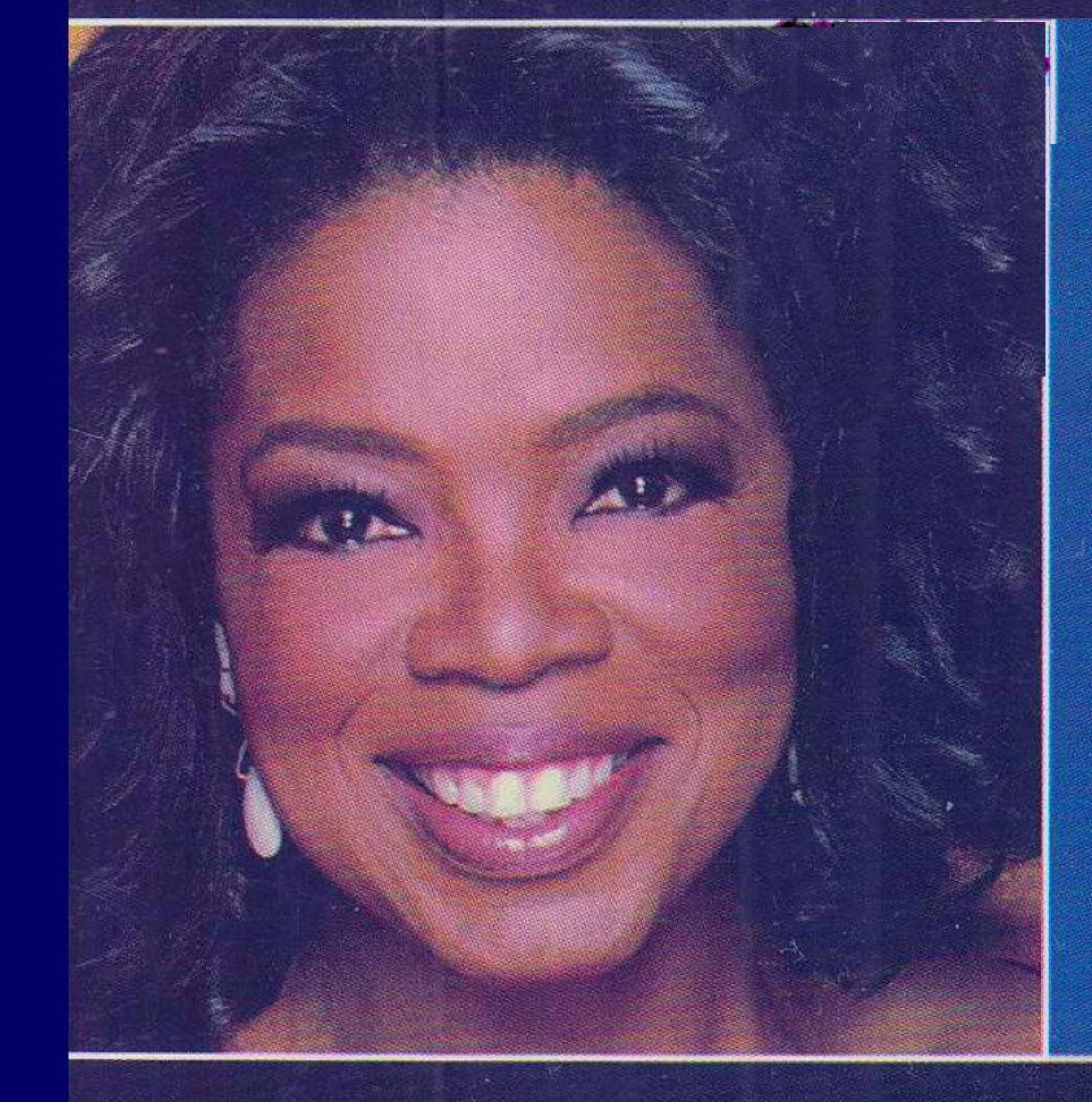
• سيرة ذاتية للأمريكية ذات الأصول الأفريقية •

أوبرا وينفري



"أنا لا أؤمن بالفشل"



روبن واستن

أوبرا وينفراي « أنا لا أؤمـــن بالفشل»





أوبرا وينفراي

«أ نا لا أؤمـــــن بالفشل»

تأليف : روبن واستن

ترجمة: هاجر بوزناد

الطبعة الثانية : 2014

رقم الإيداع: 19517/ 2012

الترقيم الدولى: 9-84 -7726-779-879

العنوان: 6أبراج المهندسين - الدور السادس

شقة 2 كورنيش المعادى - القاهرة.

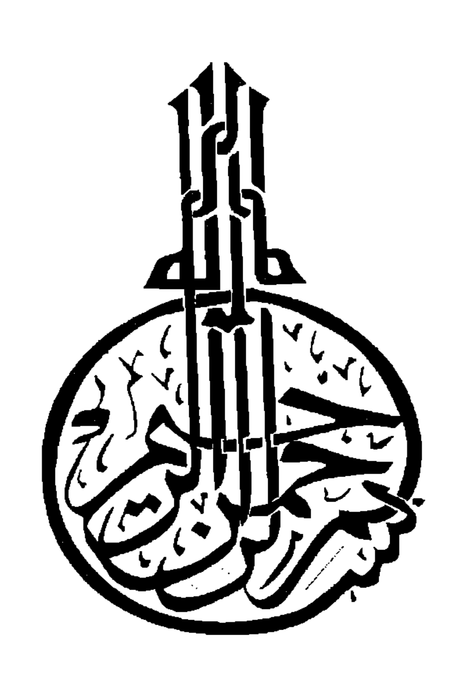
رقم الهاتف: 002-01224242437

02-25286540

AJIAL

الموقع على شبكة الإنترنت:

www.dar-ajial.com



فهرس المحتويات

المقدمة ---------- 13

الفصل الأول/ سعادتي في إسعاد الآخرين ---------- 21

الفصل الثاني/ مولد في مهد الشقاء ---------- 33

الفصل الثالث/ أيام نحسات ---------- 45

الفصل الرابع/ أوبرا تقهر الفروق العرقية ---------- 57

الفصل الخامس/ وجهة جديدة ---------- 73

الفصل السادس/ أوبرا تصنع لاسمها مجدا ---------- 85

الفصل السابع/ عشق البنفسج ---------- 97

الفصل الثامن/ أعمال كبيرة ---------- 107

الفصل التاسع/ قضايا شائكة ---------- 119

الفصل العاشر/ أوبرا في ذروة العطاء ---------- 133

الفصل الحادي عشر/ نحو آفاق أوسع ---------- 143

قائمة المراجع ---------- 155



I don’t believe in failure.

It is not failure if you enjoyed the process.»

Oprah Winfrey

«أنا لا أؤمن بالفشل، لا يعد الفشل فشلا إذا كنت تستمتع بالعمل»

أوبرا وينفراي





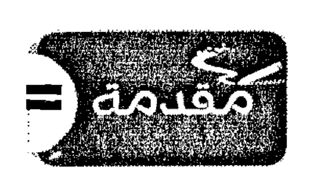
تقول أوبرا: «بإمكانك الحصول على كل ما تريد، لكن ليس في الوقت نفسه».

قد لا يتفق معها العديد من محبيها، ومع ذلك تبقى أوبرا تلك الإنسانة الذكية والظريفة والعطوفة والموهوبة، وإحدى أغنى النساء في العالم وأكبرهن أثرا.

وسواء أتحدثت أوبرا عن تجربة الاعتداء الجنسي عليها في فترة صباها التي كان التمرد عنوانها، أو عن معاناتها مع البدانة أو عن كتبها المفضلة أو عن فضائل شبكتها الملائكية، كان العالم كله يصغي إليها.

لكن، كيف تمكنت أوبرا من بلوغ ذروة النجاح؟

هذا ما ستخبرنا به الكاتبة روبن واستن Robin Westen التي جمعت لنا فصول الإجابة بين طيات هذا الكتاب الممتع من خلال سردها أكثر القصص والأحاديث إثارة عن حياة أوبرا وينفراي.



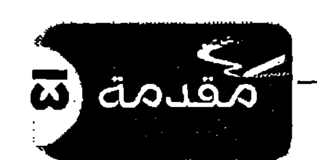


مقدمة

«من الناس من يظهر على صفحة الحياة ثم يختفي كالزبد الذي تصنعه الأمواج في عراكها الدائم مع الرياح، ومنهم من طرق أبواب الوجود، وانساب مع تيار الحياة المتجددة، ولاحق موكب الزمن المنطلق، فصار يوجه الأحياء إلى الخير ويرسم للحائرين المنهج (...) وظل فكره الثاقب وقلبه الخافق وصوته الجهير يجلجل في الأصقاع، لا يعدو عليه البلى ولا تطويه الجنادل».[1]

ومن هؤلاء الناس من ترك آثاره وطبع بصماته وأحيى ذكره على كل لسان وصارت مآثره حديث العام والخاص، وبلغ من دماثة خلقه وسعة صبره وقوة جلده وصلابة عزمه ورهافة حسه الإنساني مبلغا لم يبلغه غيره ممن ارتضى الركون إلى الخمول والبلادة بدل السعي إلى الرقي بنفسه والنهوض بأمته، فأفاد واستفاد، ولم يرض بأن يكون زائدا في الحياة عالة على الأحياء.

وقد حفظ التاريخ لأمثال أولئك فضلهم وخط بأحرف النور ذكراهم فكان أن ألفت في فن التراجم والسير آلاف الكتب التي تعرضت إلى الأقدمين



1. في موكب الدعوة إلى الله – الشيخ محمد الغزالي.

والمحدثين على السواء، بصرف النظر عن جنسهم أو لونهم أو دينهم، فالعبرة إنما بما أضافوا للعالم من خلاصة أفكارهم وعصارة تجاربهم.

فجاءت السير والتراجم تروي حياة الكتاب والأدباء والمخترعين والأطباء والفلاسفة والساسة والمفكرين وعلماء الدين وغيرهم ممن كان لهم الأثر والنفع على البشر أجمعين كل في مجاله.

ولأن المعرفة الإنسانية ليست حكرا على أمة دون أخرى بل هي من حق الناس جميعا، فقد كان لزاما أن يعرف العالم ما لتلك الشخصيات من فضائل عليه، وما من سبيل هي أكمل ولا أفضل ولا أنجع لذلك - في نظري - من الترجمة.

وهل بلّغ المسلمين في عصور الخلافة الذهبية ذاك المبلغ من الرقي العلمي والثقافي والحضاري إلا ترجمة علوم الفرس والروم والهنود واليونان وآدابهم؟.

وهل قامت حضارة الغرب إلا بعد ترجمة علومنا وآدابنا إلى لغاتهم؟.

فالشاهد أنه لولا الترجمة ما عرفنا فاسكو دي غاما ولا غاليلي ولا أديسون، ولولاها ما عرفوا الرازي ولا ابن سينا ولا الخوارزمي ولا الإدريسي.

وأجدني - على ضآلة خبرتي وقلة تجربتي - ميالة إلى هذا الضرب من ضروب الترجمة، وذلك لرغبتي أولا في الإسهام في هذا الجانب الذي لاحظت تراجع الترجمة فيه عند المحدثين، فمنذ ترجمة أنشتاين وباستور ومعاصريهم،



لم يترجم من السير بعدهم - فيما أعلم - إلا النزر القليل، لا لأن معين العالم من أمثال أولئك قد نضب، ولا لأن الغربيين اكتفوا بمآثر قدمائهم ولم يؤرخوا لمحدثيهم.

بل لأن التراجع الفكري لأمتنا والغزو الثقافي الذي ما انفك يستشري في أوصالها قد جعل العرب والمسلمين ينسلخون شيئا فشيئا من جلدتهم، فطلقوا الضاد طلاقا بائنا، وراحوا يكتبون بألسن غيرهم بدل أن ينقلوا أحسن ما وصل إليه غيرهم إلى لسانهم، فانصبت جهود المترجمين على تعريب ما ألفه العرب أنفسهم وانصرفوا بذلك عما كتبه غيرهم.

ففي حين يستفيد الأعاجم مما عندنا إضافة إلى ما عندهم، يبقى كثير من علومهم وآدابهم حكرا عليهم ما لم نسع إلى نقلها نحن العرب، يضاف إلى ذلك هيمنة الترجمات القانونية والعلمية والسياسية والصحفية والسينمائية والروايات الأدبية على أغلب جهود الترجمة في عصرنا.

أما السبب الثاني لاختياري الترجمة في مجال السير والأعلام، فالسر فيه موضوع الكتاب الذي اخترت؛ شخصية هي أنموذج يحتذى في الإرادة والطموح والإنسانية، عنوان تجربة حياتها أن البداية المحرقة أذان بنهاية مشرقة، وأن درب النجاح فرش أشواكا لا ورودا، وأن إحراز المجد أمر صعب المنال.

لا تحسبن المجد تمرا أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا



إذ وبالرغم من المشاهد القاسية التي طبعت طفولتها والفصول المأساوية التي بصمت فترة صباها، إلا أن أوبرا وينفراي أثبتت أن:

«المنجزات العظيمة حسنة من حسنات الفقر، وثمرة من ثمراته، فما المداد الذي كتبت به المصنفات ودونت به الآثار إلا دموع البؤس والفاقة، وما الآراء السامية والأفكار الناضجة التي رفعت شأن المدنية الحديثة إلى مستواها الحاضر إلا أبخرة الأدمغة المحترقة بنيران الهموم والأحزان، وما انفجرت ينابيع المشاعر الإنسانية والتصورات الفنية إلا من صدوع القلوب الكسيرة والأفئدة الحزينة وما أشرقت شموس الإبداع في مشارق الأرض ومغاربها إلا من ظلمات الأكواخ الحقيرة والزوايا المهجورة، وما نبغ النابغون من فلاسفة وعلماء وحكماء وأدباء إلا في مهود الفقر وجحور الإملاق، **فلولا الفقر ما كان الغنى، ولولا الشقاء ما وجدت السعادة.**»[1]

فما أردت الوصول بالقارئ إليه من خلال ترجمتي هذا الكتاب أن يتعلم من تجارب أوبرا – كما تعلمت هي– **أن الفرص تمر مر السحاب فمتى ضيعتها فلن تعود إليك، وأن:**

من يتهيب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

وأن أحلام اليوم هي حقائق الغد، وأن الإنجازات تولد من رحم الألم والمعاناة، وأن الفشل أول خطوة في طريق النجاح، وأن التعثر والسقوط شرط من شروط النهوض

1. النظرات – الجزء الثالث – مصطفى لطفي المنفلوطي.



وأنه لا فضل لأبيض على أسود إلا بالعلم، سلاح المرء وعدته وماله وثروته ورفيق دربه وقائده على درب النجاح والآخذ بيده نحو الفلاح.

وأما السبب الأهم بالإضافة إلى رغبتي في إثراء التراث الإنساني والثقافة العربية من طريق عرض نماذج إيجابية من أحسن ما وصل إليه الغرب ممثلة في هذه الشخصية المعاصرة المؤثرة القريبة من الجماهير، والتي يعرفها الجميع ويحبها الجميع، ويؤثر عنها قوة شخصها وصلابتها في المواقف الصعبة. وبذلها كل ما تجنيه من ثروة في أعمال الخير، هو أني أردت ترجمة كتاب أتوج به جهود أربع سنين من الدراسات النظرية والتطبيقية، من باب تقييم ما حققت من معارف في مجال الترجمة من جهة، وتمرينا لنفسي على التعامل مع مختلف المعيقات التي قد تواجهني في أثناء الترجمة من جهة أخرى.

ويروي الكتاب قصة حياة الشخصية الإعلامية الأمريكية الشهيرة أوبرا وينفراي Oprah Winfrey، التي نجحت في الإنتاج والإخراج وبرعت في التمثيل وتألقت في تقديم أنجح البرامج على الإطلاق، فاستحقت عن جدارة لقب **«سيدة الشاشة»**.

وتنتقل بنا الكاتبة الأمريكية روبن واستن Robin Westen من خلال فصوله الأحد عشر بين مختلف مراحل حياة أوبرا من مولدها إلى حدود عام 2004.

وتروي لنا تجربتها مع الإرادة في مواجهة الفشل في عمل عنونته بـ:

«أوبرا وينفراي؛ أنا لا أومن بالفشل»

Oprah Winfrey ; I Don't Believe in Failure.

من سلسلة "مكتبة سير الأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية"، وقد طبع الكتاب ونشر في الولايات المتحدة العام 2005، و كتب بلغة انجليزية أمريكية.

حاولت نقلها إلى لسان عربي فصيح حرصت على تجنب ما شابه من عيوب وما شاع فيه من أخطاء بسبب تساهل بني جلدتنا فيه واعتيادهم النزول باللغة إلى مستوى القراء بدل محاولة الرقي بالقارئ إلى مستواها.

وقد لاقيت في سبيل ذلك ما لاقيت من العوائق والعقبات، كان أبرزها الفروق الدلالية بين الانجليزيتين الأمريكية والبريطانية، وقلة المراجع المختصة في ذلك، وقد ساعدتني بعض المعاجم في تذليل أغلب تلك الصعوبات، ثم تركيب لغة الكتاب وأسلوبه السهل الممتنع.

إذ تبرز فيه -على بساطته- عدة إشكالات أسلوبية وتركيبية لجأت في سبيل حلها إلى تقنيات الترجمة وبدائلها، فاستعملت التقديم والتأخير والحذف والتقدير والإبدال الصرفي والتحوير وغيرها.

كما استعنت بالمتلازمات اللفظية في العربية والبحث عما يعبر به عن الحالة نفسها في اللغة العربية «**المعادل أو المقابل**»، واستعملت كذلك التصرف فيما لم

أجد بدا من التعبير عنه بما يوافق ثقافة اللغة الهدف، كما لجأت في أغلب الأحيان إلى تقنية التقريب التي تقوم على استخلاص المعنى من النص الانجليزي ثم البحث عن التراكيب العربية الفصيحة التي تؤديه والتي استقيتها جلها من القرآن الكريم.

وقد صادفني الكثير من المصطلحات التي تفيد أماكن وشخصيات وتنظيمات معروفة عند القارئ الأمريكي بما لا يستدعي الإشارة إليها إلا باسمها في النص الانجليزي، لكن الحال بالنسبة للقارئ العربي قد تختلف، لذلك استعنت ببعض المواقع على الشبكة العنكبوتية لشرح ما تدل عليه تلك الأسماء لما لها من أثر بالغ في فهم النص.

ولست أدعي – مع ذلك – الكمال في ترجمتي فبينها وبينه بعد المشرقين، ولا أنها أحسن ترجمة ممكنة فباب التحسين فيها مفتوح، بل إن الكاتب نفسه «**لا يكتب كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو بدّل هذا لكان أفضل ولو أضيف هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر على استيلاء النقص على جملة البشر**»[1].

ولكن، حسبي أني اجتهدت وبحثت وسعيت، فإن أخطأت فمن نفسي «المقصرة» ومن الشيطان ولي في عملي أجر واحد، وإن أصبت فمن الله الواحد المنان، ولي أجران، ويا حبذا لو تكرم من يقرأ مذكرتي بتنبيهي إلى ما وقعت فيه في الزلل و بإرشادي إلى مواطن الخلل والخطإ فيها، لأفيد منها في المستقبل.



1. العماد الأصفهاني

وفي الختام، أذكر أن عملي على ضآلته إسهام في باب ترجمة السير والأعلام عله بدوره أن يسهم ولو بالشيء اليسير في لفت انتباه المترجمين وطلبة الترجمة إلى الترجمة في هذا المجال، لا لنذر ما تزخر به حضارتنا من نماذج ونحتذي بغيرنا في سلبياتهم وإيجابياتهم، لكن لنأخذ منهم أحسن ما عندهم فيكون إضافة إلى ما عندنا.

هذا ما وفقني الله إليه فله الحمد حمدا كثيرا، وأصلي وأسلم على خير خلق الله محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

«الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»









الفصل الأول

سعادتي في إسعاد الآخرين




23
الفصل
الأول

سعادتي في إسعاد الآخرين

كانت أغنى امرأة في العالم وأكثرهن نجاحا تشع تألقا، عاليها ثوب أنيق وحلى من ذهب، وعلى رأسها خوذة واقية.

استجمعت وينفراي كل قواها لتغرز الرفش في الأرض وترفع به حملا ثقيلا وثمينا من تراب الأرض السمراء وتقذف به في الجو، فيهتز المكان بتصفيقات الإعجاب وتضج فيه هتافات الجمهور والصحفيين.

كان ذلك في السادس من كانون الأول/ ديسمبر 2002، عندما وضعت أوبرا حجر الأساس لبناء «**أكاديمية أوبرا وينفراي لإعداد القادة**» للبنات.

وهي مدرسة داخلية النظام سترفع قواعدها بجنوب إفريقيا، وقد خصصت لتحتضن 450 موهبة في المجال العلمي يمثلن نخبة الفتيات بين السابعة والثانية عشرة.

وقالت وينفراي في خطاب وجهته للجمهور:

«العلم هو السبيل إلى هز الجبال.. إلى مد الجسور.. إلى تغيير العالم.. العلم هو الطريق نحو الغد.. أنا أومن أن العلم هو الحرية الحقة، وبعون الله، ستكون تلك



الفتيات قائدات المستقبل وسفيرات السلام في جنوب إفريقيا وفي العالم بأسره.»

وقد احتلت الأكاديمية المبرمج افتتاحها في عام 2007 مكانا خاصا من قلب وينفراي حتى إنها عهدت إليها بعشرة ملايين دولار من عائدات «**مؤسسة أوبرا وينفراي**»، وهي مؤسسة أنشئت لدعم حقوق المرأة والطفل والأسرة.

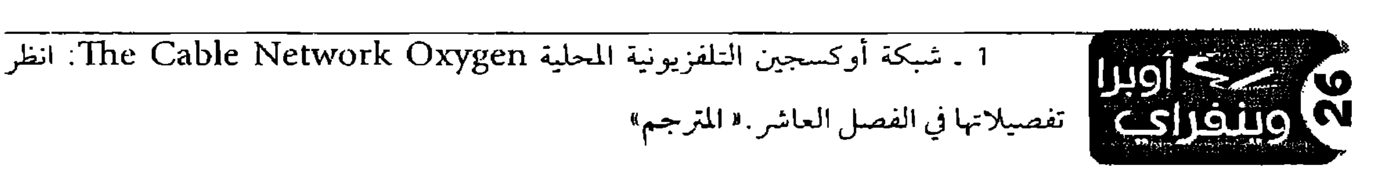
وكان تصور أوبرا للأكاديمية أن تشمل قاعات مزودة بأحدث التكنولوجيات على غرار أجهزة الحواسيب والمخابر العلمية كاملة التجهيز، ومكتبة زاخرة بالكتب ومدرج للعرض وقاعة رياضية وملاعب متعددة الرياضات إضافة إلى المئات من غرف النوم وقاعة أكل فسيحة، دون أن تنسى مناهج التعليم التي أكدت أنها ستكون في أرقى مستوياتها.

كما كان من المقرر أن تقام الأكاديمية على مساحة قدرت بـ 88 كلم^2 في محافظة غواتنغ جنوبي العاصمة جوهانسبورغ (Guateng Johannesburg).

لقد بذلت أوبرا الغالي والنفيس في سبيل هذا المشروع، لا لشيء إلا لأنها أرادت أن تنشأ الطالبات اليافعات في جو كله علم وقيم.

وعلى الرغم من جدول أعمالها المكثف لدى عودتها إلى الولايات المتحدة بدءا ببرنامجها الحواري اليومي الذي يلقى نجاحا منقطع النظير، ووصولا إلى شركة إنتاج البرامج التلفزيونية والأفلام المطولة دائمة الإشغال، وكذا شبكة «أوكسجين»[1] التلفزيونية المحلية ومجلتها الوطنية «أو»، إضافة إلى العديد من

1 ـ شبكة أوكسجين التلفزيونية المحلية The Cable Network Oxygen: انظر تفصيلاتها في الفصل العاشر.« المترجم»



المشاريع الخيرية الأخرى، إلا أنها وعدت بأن تكون القيمة على كل شاردة وواردة بالمشروع.

وتأكيدا على وفائها بالعهد تجاه الأكاديمية، قالت أوبرا:

«كانت لي جلسة مع هيئة إدارة المشروع، وكنا بصدد الحديث عن المكتبة، لكنني لاحظت عدم وجود مدفأة بها فقلت لهم: هذه المدرسة هي بيت البنات، وهن بحاجة إلى التدفئة حين يقرأن في أيام الشتاء.. فلنزود المكتبة بمدفأة.. أنا على ثقة بأننا سنجعل من هذا المكان بيتا بمعنى الكلمة.»

لم يكن وضع حجر الأساس لبناء الأكاديمية إنجاز أوبرا الوحيد في جنوب إفريقيا تلك السنة.

ففي موسم عيد الميلاد من السنة ذاتها، شرقت أوبرا في البلاد وغربت حاملة آلاف العلب من الملابس واللعب لتهديها إلى أزيد من خمسين ألف طفل يتيم فقد أغلبهم آباءهم بسبب داء الإيدز.

أطلقت أوبرا على تلك الحملة: مهرجان رأس السنة الخيري- جنوب إفريقيا2002.

وبعد عودتها إلى الولايات المتحدة وبالرغم من كثرة انشغالاتها، كانت ما تزال تذكر وببالغ التأثر تجربتها في جنوب إفريقيا.

لقد غيرت جولتها في البلاد وما قدمته من هدايا لضحايا الإيدز من الأطفال في حياتها الكثير.

كان رسم البهجة على وجوه الأطفال موقفا كله قوة ومروءة، قالت عنه أوبرا: «**لو كان للفرحة ريح لملأ عطرها أرجاء القاعة.**»

ورددت في سرها: «**حمدا لله، ها أنذا أحصل على ما أريد**».

منذ ذلك اليوم، لم يحدث أن عاشت أوبرا يوما أسود في حياتها، ذلك أنها، كما قالت، عرفت كيف تضع كل شيء في نصابه.

كانت رحلة وينفراي إلى إفريقيا سببا جعلها تستخدم نفوذها لتحسيس العالم بخطورة أزمة الإيدز في جنوب إفريقيا.

فمن الحقائق المرعبة التي أوردتها أن 99٪ من الأفارقة المصابين بداء الإيدز لم يكن بإمكانهم الحصول على ما يلزمهم من دواء، وأزيد من 13 مليون طفل تحت سن الخامسة عشرة ممن يقطنون الصحراء الدنيا (جنوب الصحراء الكبرى) فقدوا أحد والديهم على الأقل بسبب الإيدز، وما يزال الرقم في تصاعد، كما أن إفريقيا وحدها يعيش بها ما يربو عن 90٪ من الأطفال الأيتام بالعالم.

وفي عام 2003، كانت لـ وينفراي زيارة قادتها مجددا جنوب إفريقيا، استضافت خلالها 124 طفلا مصابا بالإيدز من سويتو[1] (Soweto) في احتفال خالد بمناسبة عيد الميلاد.

بمجرد وصولهم، سار الأطفال على السجاد الأحمر، واستقبلوا بالأحضان والقبل.

---

1 – سويتو Soweto : بلدة صغيرة في جنوب إفريقيا تقع على بعد 15 كلم جنوب شرقي العاصمة جوهانسبورغ في محافظة غواتنغ، وتضم عدة أحياء منها ميسورة الحال وأغلبها تعيش حالة فقر مدقع، وبها العديد من البيوت القصديرية، وتعتبر أكثر مناطق جنوب إفريقيا فقرا. « المترجم»

كان ذلك أمرا بالغ القوة والتأثير، لأن الناس كثيرا ما كانوا يخشون لمس الأطفال المصابين بالإيدز، ظنا منهم أن الداء ينتقل عن طريق الاحتكاك العرضي.

في زيارة قادتها إلى الميتم الذي يقيم فيه، هاهو الصغير ديونغ (Diong) يستلم هدية عيد الميلاد من يدي أوبرا وعلى ثغره ابتسامة الفرح المشرقة.

وقد عاش الأطفال على مدار ذلك اليوم أجواء احتفالية رائعة تخللتها موسيقى ولعب وكثير من الطعام، كما قدمت لهم هدايا تمثلت في لعب وأحذية لم يحلم أي منهم بامتلاكها يوما.

وقد عاش الأطفال على مدار ذلك اليوم أجواء احتفالية رائعة تخللتها موسيقى ولعب وكثير من الطعام، كما قدمت لهم هدايا تمثلت في لعب وأحذية لم يحلم أي منهم بامتلاكها يوما.

قالت وينفراي: « **كانت هناك طفلة صغيرة في غاية التأثر والسرور، حتى إنها لم تتمكن من فتح هديتها بل اكتفت بتقبيل غلافها!** »

وفي نهاية الاحتفال، أخذ الجميع صورا تذكارية إلى جانب مضيفتهم، الشهيرة **أوبرا وينفراي**، أما **أوبرا** فقد عبرت عن عميق سعادتها بقولها: « **كان هذا اليوم أجمل يوم في حياتي، حسبي فيه مرأى الأطفال والبسمة تعلو وجوههم.** »

وعلى الرغم من أن أوبرا أن تعلقت بجنوب إفريقيا، إلا أنها لم تكن أبعد ولا أول مكان امتدت إليه يد سخائها.

الشاهد والمثير للإعجاب والتقدير حقا، أن رائدة الإعلام في العالم، والتي ولدت لأم وحيدة مكافحة ونشأت بين براثن الفقر والشقاء، وقضت بواكير عمرها بين جدران كوخ حقير بمزرعة في ريف ولاية ميسيسيبي تهب منذ عام 1980 خمسين مليون دولار للأعمال الخيرية.

وما تزال وينفراي تأمل في أن تتمكن من تمويل المزيد من المشاريع الخيرية مستقبلا، في صدارتها خطط للمساعدة في بناء المزيد من المدارس بجنوب



إفريقيا، ومدرسة للبنات في أفغانستان، التي تحول فيها الجماعة الإسلامية العسكرية المتطرفة «طالبان»، بين البنات وبين ارتيادهن المدارس.

كما تخطط أوبرا لإنتاج وثائقي عن الأيتام في العالم، استلهمت فكرته من رحلتها إلى إفريقيا حيث التقت بأطفال يتحملون مسؤوليات رعاية إخوتهم بعد أن فقدوا آباءهم جراء الإيدز أو أمراض أخرى، و لما يتجاوزوا التاسعة بعد!

وفي محاولة منها للفت الانتباه نحو هذا المشكل، بذلت أوبرا وسعها لتوحيد جهودها مع منظمات خيرية أخرى علها تستفيد من خبراتها.

إن المتأمل في ماضي أوبرا لابد أن يخالجه شك في إمكانية أن تحقق ما هي عليه اليوم من تفوق ونجاح، لكن العوائق والعقبات لم تكن لتصمد أمام عزمها الجبار وإرادتها الفذة وهي تشق طريقها من نجاح إلى نجاح.

قد تعلمت ومنذ سنين الطفولة الأولى كيف تواجه تحديات الحياة بهمة عالية، وأن تتبع نور قلبها وأشواق فطرتها وكرم سريرتها.





جنوب إفريقيا وسياسة الأبارتيد (سياسة الفصل العنصري)

اشتقت لفظة الأبارتيد apartheid من لفظة apartness التي تعني الوحدة أو العزلة.

وكانت الأبارتيد «**سياسة الفصل العنصري**» السياسة الرسمية للتمييز العرقي وعنوان سيادة البيض التي كانت حكومة جنوب إفريقيا تدعمها طيلة 46 سنة.

وكانت تهدف إلى تضييق الخناق على السود في مناطق سكناهم والصرامة في تحديد نفوذهم بالحكومة.

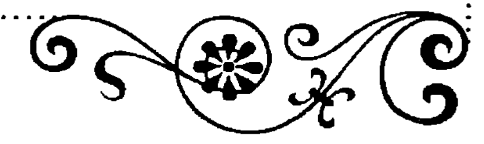
وفي عام 1994، وعلى إثر نزاع سياسي حاد أريقت خلاله الكثير من الدماء، وصل إلى الحكم حزب المؤتمر الوطني الإفريقي (ANC) ليضع حدا رسميا لسياسة الفصل العنصري.

وقد كان من المؤمل أن تساعد سياسة عدم التمييز الجديدة في الحد من استشراء الفقر بين السود في جنوب إفريقيا، غير أن البلاد كانت قد فقدت 500 ألف منصب عمل خلال العشرية الخالية، ليستمر الفقر في اجتياح البلاد.





مولد في مهد الشقاء



مولد في مهد الشقاء

كان الجنوب الأمريكي حتى مطلع الخمسينات من القرن العشرين ما يزال يعاني ويلات التمييز العنصري الذي أعطى الأفضلية للبيض على السود في كل مظاهر الحياة.

فلم يكن بإمكان السود الأكل في المطاعم التي يأكل فيها البيض، ولا المكوث معهم في الفنادق نفسها، بل حتى في حافلات النقل العمومي، كان البيض يحتكرون المقاعد الأمامية، بينما ينبذ السود في المؤخرة.

غير أن الحياة وسط تلك التلال التي كانت تلف ولاية ميسيسيبي (Mississippi)، وبالتحديد في بلدة صغيرة تدعى كوسيوسكو (Kosciusko) كانت مختلفة، إذ لم يمارس فيها التمييز العنصري بالشدة ولا بالضراوة ذاتيهما اللتين سادتا غيرها من المناطق.

وقد وصف عمدة كوسيوسكو السابق فريدي جورج (Freddie George) العلاقات العرقية التي كانت تحكم تلك البلدة الصغيرة أثناء توليه زمام أمورها بقوله:



«وجدنا وعشنا سوية، وتعهدنا أراضينا سوية، وأنجزنا كل أعمالنا سوية».

كانت كوسيوسكو آنذاك ما تزال تفتقر إلى كثير من فرص التعليم والتطور الاقتصادي، ولم تكن تتوفر حتى على مرافق الحياة العصرية كشبكات مواسير المياه وخطوط الهاتف..

أما أطفال تلك البلدة، فقد كانت تظلل آمالهم وأحلامهم هالة من اليأس قاتمة، إذ وبالنظر إلى حال بلدتهم، لم يكن يحذوهم من الأمل الكثير في مستقبل أفضل.

في ذاك المكان، وبين أحضان كوخ خشبي صغير، أبصرت النور واحدة من أحفاد العبيد الذين أعتقوا بعد الحرب الأهلية.

أوبرا غايل وينفراي (Oprah Gail Winfrey)، وكان هذا في التاسع والعشرين من شهر كانون الثاني/ يناير 1954، وهو العام ذاته الذي أقرت فيه المحكمة الأمريكية العليا عدم شرعية التمييز العنصري في المدارس الحكومية، لتغرس في نفوس السود بذلك بذرة أمل في غد مشرق.

وقد خص اسم أوبرا بمزيد عناية منذ البداية، ذلك أن «إيدا (Ida)» أخت جدتها سمتها «أوربا[1] (Orpah)» تيمنا بشخصية مسيحية لا يعرفها الكثير

1. أوربا Orpah: جاء في النص الانجليزي أن «أوربا» هذه شخصية مسيحية ذكرت في سفر راعوث Ruth، غير أن ما توفر لدي من الأناجيل ومن نسخ الكتاب المقدس لم يرد فيه ذكر لـ «أوربا» لا بالانجليزية ولا بالعربية، لكنني عثرت على اسم «أورفا Orphah» في إحدى نسخ الإنجيل، ولعله المقصود بـ «أوربا».

ويقال أن تغيير اسم أورفا، الشخصية اليهودية الأصل المسيحية الديانة، إلى أوبرا كان متعمدا. « المترجم»

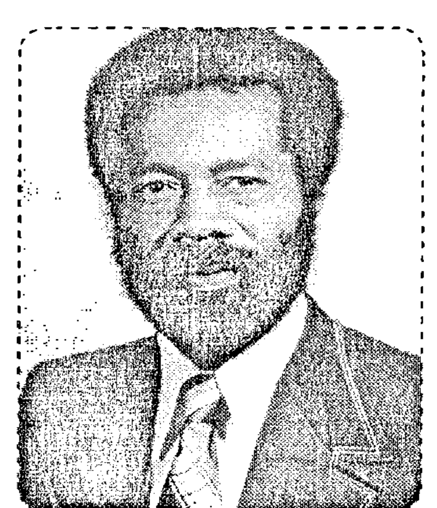
ورد اسمها في سفر راعوث من العهد القديم (للكتاب المقدس).

لكن، ومن سخرية القدر، أن القابلة أخطأت في ترتيب حرفي «الباء» و«الراء» ليسجل اسم المولودة في شهادة الميلاد «أوبرا» **بدلا من** «أوربا».

قضت أوبرا أوائل سنين عمرها بين مصارع الفقر و الشقاء؛ لم تكن والدتها «**فرنيتا لي (Vernita Lee)**» تتجاوز الثامنة عشر من عمرها بعد حين وضعتها، أما والدها «فرنون ونفراي (Vernon Winfrey)» ذو الاثنين والعشرين ربيعا، فقد كان جنديا بقاعدة «كامب راكر(Camp Rucker)» العسكرية النائية بألاباما(Alabama) .

ولم يكن المراهقان يعرف أحدهما الآخر إلا لمما.

وبعد أسابيع من مولد أوبرا، فوجئ **فرنون** برسالة وصلته من ميسيسيبي، كانت عبارة عن إعلان مطبوع عن مولد أوبرا، أرفق بملاحظة مكتوبة بخط فرنيتا الغبش تطلب منه فيها إرسال بعض الملابس.



لكن فرنون لم يبادر بمساعدتها على الاهتمام **بأوبرا، وهو الأمر الذي أسف عليه أشد الأسف فيما بعد.**

عاشت أوبرا سنينها الأولى في كنف والدتها وجدتها «هاتي ماي لي (**Hattie Mae Lee**)» في

مزرعة صغيرة في كوسيوسكو، إلى جانب الأبقار والخنازير والدجاج، تأكل مما تنبت أرض مزرعتها، و تلبس ما تخيط لها جدتها.

وعندما بلغت الرابعة من عمرها، علمت أمها فرنيتا بوجود مناصب شغل كمدبرات منازل في ميلوكي(Milwaukee)، أكبر مدن ولاية ويسكونسين (Wisconsin)، تتقاضى عنها خمسين دولارا في الأسبوع، وهو مبلغ يفوق ما يمكن أن تحلم أم يافعة بالحصول عليه في كوسيوسكو.

لذلك كان من الصعب على فرنيتا أن تضيع هذه الفرصة.

أرادت والدة أوبرا أن تحسن ظروف معيشتها، فأصبحت واحدة من بين ما يقارب خمسة ملايين مهاجر أمريكي ذي أصول إفريقية، انتقلوا إلى المدن الشمالية ما بين عامي 1900 و 1960 ضمن ما يعرف بالهجرة الكبرى، أملا في حياة أفضل.

أما أوبرا، فقد تركتها أمها في رعاية جدتها لأنها لم تكن قادرة على العمل والاهتمام بابنتها في الوقت ذاته.



الهجرة الكبرى

بين العامين 1915 و 1920، هاجر ما يقارب مليون أمريكي ذي أصول إفريقية من الجنوب الريفي إلى المدن الصناعية في الشمال، وفي الوسط الغربي أملا في إيجاد مناصب عمل وهروبا من التمييز العنصري.

ثم هاجر مليون آخرون في العشريات التالية نحو الغرب خاصة كاليفورنيا.

وقد استمر سيل الهجرة من المناطق الريفية الصغيرة طلبا للاستقرار في المدن الكبرى، حتى بلغت نسبتهم 40٪ بحلول عام 1960، استقر 75٪ منهم في المدن الكبرى.

وبمجرد استقرارهم في بيوتهم الجديدة، بدأت ثقافة سود جديدة تطفو على السطح.



كانت الحياة في مزرعة هاتي ماي لي الريفية غاية في القسوة، إذ كان على أوبرا وعلى صغر سنها، أن تساعد جدتها في أعمالها اليومية، فكانت تجلب الماء من البئر وهي حافية القدمين، وتسوق الأبقار إلى المراعي وتطعم الخنازير والدجاج ومع ذلك، كان يتبقى لديها من الوقت قبل غروب الشمس ما يكفيها للعب.

ولما لم يكن هناك أطفال بالجوار تلعب معهم، فأقرب جار لهم كان رجلا كفيفا يعيش على قارعة الطريق، كانت أوبرا تمضي أوقات فراغها في الحديث إلى الحيوانات.

حتى وهي صغيرة، كانت تمتاز بملكة إدارة مثل تلك المحادثات العفوية.

تذكر أوبرا ذلك فتقول: «**لم يكن هناك أطفال ألعب معهم، ولا لعب أتسلى بها عدا دمية واحدة، لذلك كنت ألاعب الحيوانات وأكلم الأبقار!**».

وكانت هاتي ماي على حبها لأوبرا، مربية قاسية كحال الكثيرين آنذاك، إيمانا منها أن ذلك كله إنما يصب في مصلحة أوبرا ويهدف إلى صقل شخصيتها، فكثيرا ما كانت أغصان الأشجار المسماة سياطا علاجا لمن يسيؤون التصرف.

وما يزال عالقا بذهن أوبرا أوامر جدتها اللاذعة بأن تذهب إلى الحقل وتحضر لها غصنا تضربها به.

قالت أوبرا: «**كان بمقدورها أن تستمر في جلدي أياما دون أن يستبد بها العياء.. هذا هو بالضبط ما نسميه اليوم اعتداء على الأطفال!**».

لقد أحبت أوبرا جدتها حبا جما على الرغم من قوانينها المشددة وأسلوبها العنيف في التربية، وقد عبرت عن عظيم امتنانها لرعايتها الصارمة لها بعد سنوات من ذلك فقالت:

«كل ما أنا عليه اليوم من قوة في الشخصية و عمق في الإدراك إنما أدين به لجدتي».

وما تزال أوبرا تذكر يوما أدركت فيه حب جدتها لها وحرصها على حمايتها.

اندلعت يومذاك عاصفة رعدية هوجاء، وكانت أوبرا في فراشها ترتعد فرائصها خوفا، فضمتها جدتها إلى صدرها وهدأت من روعها بكلمات رقيقة قائلة: «**إن الله لا يعذب أبناءه من الأطفال!**».

ولما كانت هاتي ماي امرأة عميقة التدين، حرصت على أن ترتاد أوبرا الكنيسة المثيودية المتحدة[1] في بوفالو(Buffalo) كل أحد، حيث تقام الصلوات من الصباح إلى المساء في غرفة خانقة شديدة الحر.

كان على الأطفال الجلوس بلا حراك، وهو ما لم يكن بالهين على طفلة مفعمة بالحياة وحب الاطلاع مثل أوبرا.

زيادة على ذلك، كانت هاتي ماي شديدة الإيمان بأهمية العلم، فعلى الرغم من

---

1. الكنيسة المثيودية أو المنهاجية المتحدة the United Methodist Church: نسبة إلى الميثودية أو المنهاجية وهي طائفة مسيحية بروتستانتية ظهرت في القرن 18 في المملكة المتحدة ثم في الولايات المتحدة الأمريكية. كانت موجهة بشكل أساسي للعمال والفلاحين والعبيد. ويشكل أتباعها ما يقارب سبعين مليونا في جميع أنحاء العالم. «المترجم»

أنها لم تكن متعلمة، إلا أنها أرادت لأوبرا أن تكبر وهي تتلو الكتاب المقدس.

ففي الوقت الذي بدأ فيه الأطفال ذوو ثلاث سنوات لتوهم بتمييز الألوان، كانت أوبرا تستطيع أن تقرأ وتكتب وتجري عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة، كما كانت تحفظ أجزاء طويلة من الكتاب المقدس ومن كتب دين أخرى، ما جعل جدتها في غاية الفخر والسرور، حتى إنها رتبت لها تلاوة قداس في صلاة عيد الفصح[1] يوم الأحد، كان موضوعه: «**قيامة المسيح في عيد الفصح**».

في هذه الكنيسة، «الكنيسة المثيودية المتحدة» في بوفالو أدهشت أوبرا ذات الثلاث سنوات الجميع بتلاوتها لقداس عيد الفصح.

فقالت عنها إحدى السيدات: «**هذه الطفلة حقا موهوبة**».

كانت أوبرا تتلو بثقة وسلاسة حازت بهما على إعجاب الجميع بما فيهم رعايا الكنيسة.

---

1. عيد الفصح Easter Day: أو أحد القيامة، هو أهم الأعياد الدينية في المسيحية وغالبًا ما يكون بين أوائل شهر أبريل إلى أوائل شهر مايو من كل عام، وفيه يحتفل النصارى بقيامة السيد المسيح من بين الأموات بعد موته على الصليب. ويشتق اسم هذا الاحتفال الديني من الاسم العبري لعيد الفصح: بيساك «pesach»، الذي هو عيد اليهود، إذ يتفق العيدان في موقعهما في التقويم، حيث إن العشاء الأخير للسيد المسيح مع تلاميذه قبل صلبه يمثل عشاء الفصح حسب ما ذكر في الأناجيل الثلاثة في العهد الجديد من الكتاب المقدس: متى، مرقس، لوقا. «المترجم»

وكانت هاتي ترمقها بفخر، ثم ما لبثت عجوز كانت تجلس إلى جانبها أن أسرت لها قائلة: «**هذه الطفلة حقا موهوبة !**».

كان من الطبيعي ألا يتأثر أتراب أوبرا من الأطفال ببراعتها ومهارتها في تلاوة الكتاب المقدس، بل إنهم كانوا كثيرا ما يستغربون جديتها في الجانب الديني، ويمازحونها ناعتين إياها بالواعظة الصغيرة.

أحست أوبرا منذ الصغر أنها مختلفة عن باقي الأطفال، وازداد شعورها قوة في خريف عام 1959، عندما باشرت عامها التحضيري للدخول إلى المدرسة بالقرب من قرية بوفالو في ميسيسيبي.

ولما كانت تجيد القراءة والكتابة أصلا، فقد ضاقت ذرعا بقسمها وقررت أن تفعل شيئا ما حيال ذلك، فكتبت إلى معلمتها رسالة تقول فيها:

«**معلمتي العزيزة نيو(New)، أنا لا أظن أنني أنتمي إلى هذا المكان !**».

كان كل حرف خطته أوبرا ينبض نورا منبئا عن مواهبها العلمية الفذة.. وسرعان ما رقيت بعدها إلى الصف الأول الدراسي بعد موافقة مدير المدرسة.

وحتى ذلك اليوم، لم تكن أوبرا ذات الست سنوات تعرف من الحياة سوى ما عاشته في مزرعة جدتها، لكن تلك الحقيقة ما لبثت أن تغيرت حين مرضت هاتي

ماي ولم يعد بإمكانها رعاية حفيدتها، فأرسلتها لتعيش مع أمها في ميلووكي.

عاشت أوبرا أيامها وحيدة في ريف الجنوب، وهاهي اليوم تستعد لخوض تجربة العيش في المدينة الكبيرة، حيث الحياة الهانئة والعيش الرغيد...



الفصل الثالث

أيام نحسات



أيام نحسات

كانت مدينة ميلووكي الواقعة في الوسط الغربي لولاية ويسكونسين منطقة صناعية شديدة الجلبة، تعج بالناس المستعجلين وسط ضوضاء طرقها المزدحمة وبناياتها الشامخات ومصانعها الكبيرة، وكانت بذلك على تناقض رهيب مع حياة الجنوب الريفية الهادئة التي طالما عاشتها أوبرا.

والمؤسف أن أوبرا لم تجد من ملجأ تجأر إليه من زخم المدينة وزحمها إلا إليها.

لقد استحال عش أوبرا الدافئ إلى غرفة يتيمة ضيقة موحشة في نزل بائس يرثى لحاله، وكان على أوبرا أن تشارك أختها ووالدتها في مساحة ضئيلة جدا فكانت تنام على فراش تخييم في السقيفة، بينما تتقاسم أمها وأختها الرضيعة - غير الشقيقة - باتريشيا (Patricia) فراشا آخر.

تقول أوبرا:

«أحسست بأني منبوذة وكأني ضيف ثقيل.. لست أدري لم كانت أمي مصرة على الإبقاء علي معها مع أنها لم تكن مستعدة كفاية للعناية بي.. لقد كنت عالة عليها.»



أما والدتها فقد كانت تسعى جاهدة لتغطية النفقات الضرورية لبيتها.. كانت تعمل طيلة النهار خادمة، وتقضي ساعات طوالا متنقلة بين المدينة وضواحيها تاركة خلفها الصغيرة أوبرا إما في رعاية الجيران أو في عناية أقاربها الأبعدين، ولا تعود إلا آخر النهار خائرة القوى، لا تلقي من شدة الإعياء بالا لحال ابنتها.

وقد أرادت أوبرا اتخاذ حيوان أليف تؤنس به وحشتها، لكن أمها التي أطبقت الغرفة الضيقة على نفسها، لم تكن لتسمح لها بذلك، فاهتدت إلى أن تجمع بعض الصراصير الممتلئة بها غرفتها، بل وأعطت اثنين منها اسمي: ميليندا (**Melinda**) وساندي (**Sandy**).

وقالت: «أعطيت كلا منها اسما ووضعتها في إناء زجاجي وداومت على إطعامها، تماما مثلما كان يفعل الأطفال عندما يلتقطون الحشرات المضيئة.»



صارت أوبرا بمرور الوقت طفلة قوية الإرادة منطلقة اللسان واستمر تفوقها في المدرسة، لكن علاقتها بأمها لم تكن على ما يرام.



كانت عاقة وقحة، لا تطيع أمها ولا تحترمها.

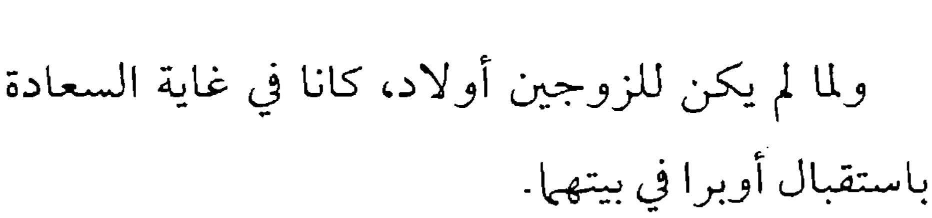
ولما أدركت فرنيتا في نهاية المطاف، أن تربية أوبرا أمر يفوق ما يمكنها تحمل مسؤوليته، أرسلت إلى والد أوبرا، فرنون وينفراي، تسأله إن كان لا يمانع أن تنتقل ابنتهما للعيش معه.



وبمجرد أن أبلغها موافقته، بعثت بها أمها في حافلة إلى مدينة ناشفيل بولاية تينيسي (Nashville Tennessee)، حيث كان والدها في انتظارها في المحطة وكانت أوبرا آنذاك في الثامنة من العمر، ولم تكن تدري بالإمكانات المتاحة لها في بيت والدها المستقر.

كان فرنون وزيلما (Zelma) يعيشان في بيت متواضع شرقي ناشفيل.

والدها كان رجلا هادئا رزينا، يعمل بجد ويمارس مهنتين في آن معا:



كان ناطورا بجامعة فاندربيلت (Vanderbilt) في ناشفيل، وطباخا بإحدى مشافيها.

ولما لم يكن للزوجين أولاد، كانا في غاية السعادة باستقبال أوبرا في بيتهما.

وكان آل وينفراي من الصرامة بحيث لم يبديا حبهما بالأحضان ولا بالقبل العفوية، ومع ذلك أمكن لأوبرا أن تستشعر صدق حبهما.

لقد سخرا كل ما أوتيا من جهد ومن قوة في سبيل تربية أوبرا علميا وروحيا، كانا يصطحبانها إلى الكنيسة المعمدانية[1] كل يوم أحد، وكانا يختبران حفظها لجدول الضرب، ويصران على أن تقرأ وأن توثق لكل كتاب تقرؤه، كما

---

1. الكنيسة المعمدانية the Baptist Church : وتسمى كذلك الكنيسة المعمدانية الإنجيلية، وهي كنيسة بروتستانتية تؤمن بالكتاب المقدس وبقانون الإيمان النيقاوي الذي يجمع عليه الكنيسة الاورثوذكسية والكاثوليكية.

تؤمن الكنيسة المعمدانية أن المعمودية يجب أن تتم للبالغين فقط وتمارس بالتغطيس وذلك بعد اقتناع الإنسان بالإيمان المسيحي عن حق واعترافه أمام الملأ أن يسوع المسيح هو ابن الله وأن يؤمن بعقيدة الثالوث. «المترجم»

كانا يمتحنانها بانتظام في مفردات اللغة، ثم ما لبثا أن اصطحباها إلى المكتبة وساعداها في الحصول على بطاقة مكتبة، وهو ما جعل أوبرا تحس بالانتماء إلى المجتمع، وأسهم في توسيع آفاقها.

كما كان لتشجيع معلمتها في الصف الرابع، الآنسة ماري دونكان (Mary Duncan)، على استخدام عقلها ولنصحها بألا تمل القراءة، وأن تسعى باستمرار لتطوير مستواها، بالغ الأثر في تنمية ذكائها.

وهكذا، كانت أوبرا تنمو في ناشفيل كبرعم يزهر تحت الشمس.

لكن فرحتها لم تكتمل حين انقضى الموسم الدراسي.وحل فصل الصيف وعادت أمها لتأخذها إلى ميلووكي.

وكان قد طرأ من التغير على حال فرنيتا الكثير مذ غادرتها أوبرا؛ فقد انتقلت إلى شقة من غرفتين، وازداد عدد أولادها واحدا بمولد جيفري (Jeffrey).

وكانت فرنيتا تستشرف في المستقبل خيرا، وقد وعدت ابنتها قائلة: «**تعالي للعيش معي !.. سأتزوج عما قريب، وسنكون عائلة بمعنى الكلمة.**»

وعلى الرغم من تفاؤل فرنيتا، إلا أن الحياة في ميلوكي أضحت أصعب بكثير على أوبرا من ذي قبل.

أصبح عليها الآن أن تتقاسم غرفة مع أختها باتريشيا، فضلا عن أخيها جيفري وخليل أمهم المقيم معهم.

قضت أوبرا أيام الصيف الحار الطويلة تقرأ وتعتني بأخويها.. وكانت تنتظر بصبر نافد العودة إلى حضن أبيها وزوجته، حيث لا يحظى بالحب والرعاية غيرها.

لكن، عندما أتى فرنون في نهاية الصيف ليأخذ أوبرا، رفضت فرنيتا إعطاءه إياها، فعاد إلى بيته محزونا يجر أذيال الخيبة.

أما أوبرا، فقد مرت حياتها في كنف أمها بمنعرج حالك الظلمة.

كان بيت فرنيتا المزدحم مرتعا خصبا للعديد من أقاربها الذين لم يكن لهم من ملجأ سواه، وسرعان ما تسللت أقدام المأساة إلى بيتها الذي كان بابه مشرعا على الدوام.

ففي إحدى الليالي، عندما كانت أوبرا تبلغ من العمر تسع سنوات، تركت وحيدة مع قريب لها كان يفترض به أن يعتني بها، لكن الشاب ذا التسعة عشرة عاما اغتصبها.

ذعرت أوبرا يومها ذعرا شديدا ولم تدر ما تفعل، فاحتفظت بالأمر سرا، لأنها خشيت إن هي حدثت به ألا يصدقها أحد، لأنها ما تزال طفلة صغيرة.

والأنكى أن الحادث لم يكن وحيدا، بل إن الاعتداءات الجنسية على أوبرا تكررت مرارا خلال فترة مراهقتها ما بين التاسعة والرابعة عشرة..

قالت أوبرا: «**فعل بي ذلك في عقر دارنا أشخاص كثر: هذا الرجل وذاك**



الرجل وذاك القريب.. أذكر أني كنت أوبخ نفسي لأجل ذلك دائما، ظنا مني أن مكمن الخلل بي وحدي !..»

وعلى الرغم من تجاربها الجنسية المريرة خلال سنين مراهقتها الأولى، إلا أن أوبرا كانت أصغر من أن تدرك حقائق الحياة من حولها، فلولا حديث عابر في ساحة اللعب بالمدرسة، ما عرفت كيف يأتي الأطفال إلى الدنيا.. وكاد يغمى عليها من شدة الخوف يومذاك، ومذ ذاك الحين وهي تضطرب هلعا كلما شعرت بألم في معدتها خشية أن تكون حاملا.

كانت تلك أقسى مراحل الاعتداء الجنسي على حد تعبير أوبرا.

كتمت أوبرا غيظها ولملمت جراحها، وانكبت مجددا على دروسها.

وقد فتح لها اجتهادها أبواب فرص علمية كبيرة.

فعندما كانت ترتاد مدرسة «لنكولن» (Lincoln) الإعدادية في وسط ميلوكي، لاحظ أستاذ يدعى أوجان أبرامز (Eugene Abrams) تميزها.

ففي الوقت الذي كان فيه الطلاب يملؤون الكافيتيريا جلبة وضجيجا كانت أوبرا تجلس وحيدة كل يوم، منغمسة في كتاب تقرؤه.

كانت رغبة أوبرا الجامحة في التعلم مثار إعجاب أبرامز، الذي أدرك ما لتلك الفتاة من قابلية للنجاح في مشوارها العلمي، وأكد له ذلك جمع من أساتذتها.

فلم يتردد في ترشيح اسمها للخضوع لبرنامج دراسي جديد يدعى



«الارتقاء»، لأنه أراد لها أن تنمي قدراتها بالالتحاق بمدرسة خاصة في منطقة غنية، أين ستتاح لها فرص علمية أكبر.

وفعلا، تم قبول أوبرا، وكان عمرها آنذاك 13 عاما، بمنحة دراسية كاملة في مدرسة «نيكوليت» (Nicolet) العليا، وهي مدرسة خاصة ذات امتيازات عديدة، كانت تبعد عن ميلوكي 25 ميلا (40 كيلومترا).

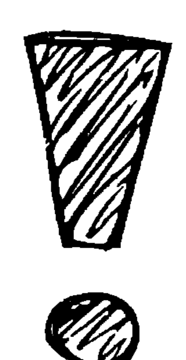
ولما كانت مدرسة نيكوليت أعلى شأنا من مدرستها المتواضعة، كان انتقالها إليها محفوفا بالصعاب، فقد كان عليها أن تستقل ثلاث حافلات كلما ذهبت إلى مدرستها، متنقلة من وسط المدينة إلى ضواحيها البعيدة، تماما كأمها وباقي الخادمات.

وسرعان ما حققت أوبرا شعبية واسعة في المدرسة، وكثيرا ما كانت تدعى إلى منازل زميلاتها من الثريات، اللائي، وإن عرضن صداقتهن على أوبرا، إلا أن ذلك لم يمنع أوبرا من الشعور بالاختلاف، لأن الحياة التي كانت فتيات البيض يعشنها في ديارهن الفسيحة ببراداتها الممتلئة وخزائن ملابسهن الكبيرة، كانت شديدة الخلاف مع حياتها التعيسة ببيتها وسط ميلوكي، وهو ما جعل أوبرا تسعى بكل ما أوتيت من حيلة لأن تبدو مثلهم، حتى إنها عمدت إلى تلفيق الأكاذيب بشأن حياتها.



قالت عن ذلك: «لفقت أكبر القصص وأشنع الأكاذيب عن والدي لأنني وببساطة، أردت أن أكون كغيري..»

وكانت أمها في ذلك الوقت تشقى لتوفير الضروري من الحاجيات فحسب، وكان المال الذي تجنيه بالكاد يكفيها لذلك، فضلا عن المصاريف الزائدة.



لكن أوبرا أرادت أن تلعب التنس، وأن تشاهد الأفلام في السينما، وتأكل البيتزا، كما تفعل صديقاتها في المدرسة الخاصة.. أرادت أن تكون كغيرها فكانت تعمد إلى حصالة أمها لتسرق منها المال.

وعلاوة على كل ذلك، دفعها غضبها المتأجج من الاعتداء الجنسي، وخيبة أملها من سوء حال معيشتها إلى التمرد الذي لم يكن إلا نارا هوجاء تحرقها..

كانت تظل بالخارج حتى وقت متأخر، وكانت لديها ممارسات جنسية مع الذكور، كما كانت ترفع صوتها على أمها وتنهرها، وكانت تركم الأكاذيب بعضها فوق بعض.

قالت أوبرا: «**جررت على نفسي كل أنواع المتاعب**»..

وبدلا من أن تتحمل عواقب سوء سلوكها، كانت تهرب بعيدا في كل مرة.

ولما كانت فرنيتا تحاول استعادة بعض التحكم في سلوك ابنتها، قررت أن ترسلها إلى إصلاحية للمراهقات المضطربات قريبة من بيتها، ومن حسن حظ



أوبرا أن كانت الدار ممتلئة، ولم يكن فيها لأوبرا مكان.

صحيح أن فرنيتا كانت تحب ابنتها، لكن لم يكن بمقدورها أن ترعاها وتربيها بالصرامة التي كانت أوبرا وللأسف بحاجة إليها..

لذلك، لم يكن لديها من خيار سوى أن تعيد أوبرا إلى بيت والدها.

وهكذا، تركت أوبرا ميلووكي وهي تحمل، إلى جانب حقائبها، سرا ثقيلا تنوء بحمله الجبال.





الارتقاء

في حزيران/ يونيو 1966، أقرت الحكومة الأمريكية برنامجا وطنيا يدعى «الارتقاء»، ما يزال ساري المفعول حتى يومنا هذا، هدفه مساعدة الطلاب من الأسر الفقيرة في مواصلة مشوارهم التعليمي حتى الجامعة.

ويخدم هذا البرنامج الطلاب من العائلات ذوات الدخل المتدني، أو العائلات التي لم يسبق لأي من الأبوين فيها أن درس بالجامعة.

ويزود طلاب «الارتقاء» بمعلومات حول التمدرس وإمكانات المساعدة المالية، إضافة إلى خدمات الاستشارة والتوجيه والوصاية، وكذا إمكانية المشاركة في الأنشطة الثقافية والتسجيل في مختلف البرامج العلمية الخاصة.

وقد قدر عدد طلبة «الارتقاء» المتخرجين من الجامعة بمليونين منذ بداية تطبيقه.


الفصل الرابع
أوبرا تقهر الفروق العرقية


الفصل
الرابع
57

أوبرا تقهر الفروق العرقية

كان فرنون و زيلما في غاية السرور بعودة أوبرا إلى بيتهما مع أنها بدت مختلفة عن البنت ذات السنين التسع التي عاشت معهما زمنا فيما مضى.

أما الآن، فها هي المراهقة ذات الثلاثة عشر عاما فتاة وقحة سيئة الطباع، تمشي الخيلاء بثياب مبالغ في زينتها، بل وأصبحت فظة سيئة الأدب مع والدها، فكانت تناديه باسم لا ينم عن احترام، كانت تناديه بوبس "Pops" أي أبي المتخلف.

وما كانت بلادة سلوكها تلك إلا تسترا عن سر ما كان بإمكانها إبقاؤه خفيا لفترة أطول، ذلك أنها كانت حبلى في الشهر السابع، وكانت أوبرا تدري أن عليها الاعتراف لوالدها بذلك إن عاجلا أم آجلا.

لكن الأقدار شاءت أن تضع مولودها في اليوم ذاته الذي استجمعت فيه شجاعتها لتقر لوالدها بفعلتها، والمحزن أكثر أن توفي بعد أيام قلائل من مولده.

اهتزت حياة أوبرا هزا عنيفا بعد تلك الأحداث التي غيرت مجرى حياتها

قالت أوبرا:

«عدت إلى مقاعد الدراسة بعد موت الولد.. عدت وأنا على ثقة بأن الحياة قد منحتني فرصة ثانية».

فانغمست بين صفحات الكتب، وقرأت عن نساء عشن حياتهن في كنف المشاكل والأزمات من أمثال هيلين كيلر[1] **(Helen keller)** **وآنا فرانك**[2] **(Anne Frank)**.

أما فرنون، فلم يدخر جهدا ولم يأل نصحا في سبيل تشجيع ابنته على نسيان الماضي والمضي قدما، وكانت أوبرا تثق تمام الثقة في قدرة والدها على مساعدتها في تصويب مسار حياتها، فقد كان واضحا جدا بخصوص ما كان ينتظره منها.

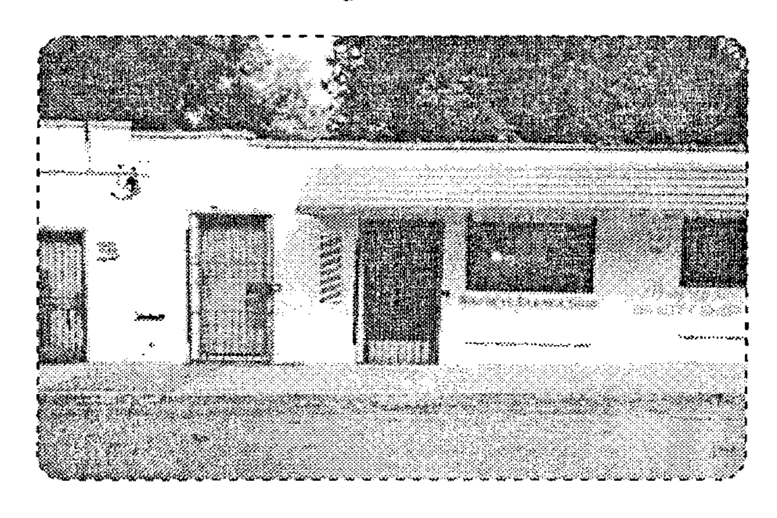
قال لها يوما: «**اسمعي يا ابنتي ! لو أخبرتك أن بإمكان بعوضة أن تحرك عربة، فلا تسأليني عن شيء، فقط جربي وادفعيها !**».

---

1. هيلين أدامز كيلر Helen Adams Keller : أديبة ومحاضرة وناشطة إنسانية أمريكية وإحدى رموز الإرادة، كانت فاقدة للسمع والبصر، لكنها استطاعت أن تتغلب على إعاقتها و لقبت "معجزة الإنسانية". تحدثت في مختلف أرجاء العالم عن المعاقين وجمعت الأموال اللازمة لمساعدتهم، وأنشأت كلية لتعليمهم وتأهيلهم. ألفت هيلين كتاب "أضواء في ظلامي" وكتاب "قصة حياتي". من كلماتها الشهيرة: "عندما يُغلق باب للسعادة، يُفتح آخر، ولكن في كثير من الأحيان ننظر طويلا إلى الأبواب المغلقة بحيث لا نرى الأبواب التي فتحت لنا". «المترجم»

2. أنيليس ماري "آنا" فرانك Annelies Marie "Anne" Frank: فتاة يهودية ألمانية، ولدت وعاشت معظم حياتها في هولندا. اشتهرت بعد وفاتها بعد نشر مذكراتها عام 1947 التي توثق تجربتها في الاختباء خلال الاحتلال الألماني لهولندا في الحرب العالمية الثانية. ترجمت عن لغتها الهولندية الأصلية إلى لغات كثيرة، ونشرت لأول مرة باللغة الإنجليزية عام 1952 بعنوان "يوميات فتاة شابة"، وأصبحت من أكثر الكتب قراءة في العالم، وكانت أساسا للعديد من المسرحيات والأفلام. عرفت آن فرانك بجودة كتاباتها، وأصبحت واحدة من أكثر ضحايا الهولوكوست شهرة ونقاشا. «المترجم»

وكان فرنون آنذاك يمتلك متجرا للبقالة ويعمل حلاقا في آن واحد، وكان يعمل لساعات طويلة دون أن يثنيه ذلك عن تربية أوبرا.



ومنذ ذلك الحين، لم يكن فرنون ولا زيلما ليسمحا لأوبرا باقتراف بالمزيد من السلوكات السيئة، لذلك وضعا لها قواعد صارمة ألحا عليها فيها أن تلبس ثيابا متواضعة، وأنذراها بأنها ستتحمل العواقب إن هي اعترضت على الأوامر أو عصتها.

كما حذر فرنون ابنته قائلا: «إما أن تكوني في البيت بحلول منتصف الليل، وإما أن تقضي الليلة في الشارع !».

قالت أوبرا: «كنت أعرف تماما ما لي وما علي وقد احترمت سلطة والدي في ذلك.»

وكذلك الحال بالنسبة لدراستها، فقد أصرا عليها أن تهتم بتحصيلها العلمي أكثر، وحتى في فصل الصيف، كان عليها أن تحفظ خمس مفردات جديدة على الأقل في اليوم، وأن تقرأ عدة كتب في الشهر وتوثقها، تماما مثلما كانت تفعل في سنينها الأولى معهما.

وبدل أن تتضايق أوبرا من حبهما العنيف الصارم، استطاعت أن تزيد مستواها رقيا.



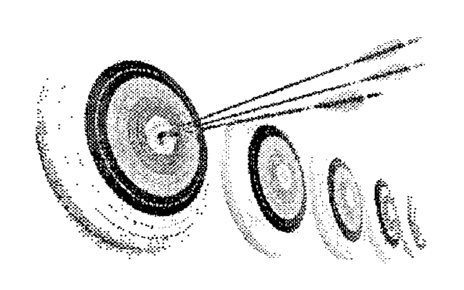
وفي شهر أيلول/ سبتمبر 1968، عندما بلغت الرابعة عشرة، باشرت دراستها في الصف العاشر في مدرسة ناشفيل الشرقية العليا، التي كانت أحسن بكثير من المدرسة؛ لخاصة في ميلووكي، حيث أورثها حسدها لزميلاتها شعورا بأنها أقل شأنا وأحقر قيمة.

لقد كانت أجواء المدرسة الجديدة مثالية تدعو إلى الاندماج، وكان الكثير من زملائها طلابا سودا من الطبقة المتوسطة.

ومع ذلك فإن انطلاقتها الدراسية كانت بطيئة الوتيرة، لأنها كانت ما تزال متأثرة بوفاة ولدها الرضيع، إضافة إلى محاولتها التأقلم مع أجواء مدرستها الجديدة.

كانت أوبرا لا تحرز في البدء سوى الدرجات المتوسطة، لكن والدها كان يحفزها بعبارات قوية على أن تجتهد أكثر.

فكان يقول لها: «لو كنت بالتي لا تستطيع الحصول على أكبر من درجة المتوسط، لكان ذلك أقصى ما أرجوه منك، لكنك لست كذلك.



اعلمي أن مثل هذه الدرجات لن تقبل منك أبدا في هذا المنزل !».

وكان يردد على مسمعها دائما أن الناس ثلاثة؛ من يصنع الحدث ومن يشاهده ومن ليس يدري ما الذي يحدث.

ثم جعل لها والدها وزوجته برنامجا يوميا أكثر صرامة، قلصا فيه من فترات مشاهدتها التلفاز.

بدأ مستوى أوبرا بالتحسن شيئا فشيئا تحت رعاية والدها وزوجته.

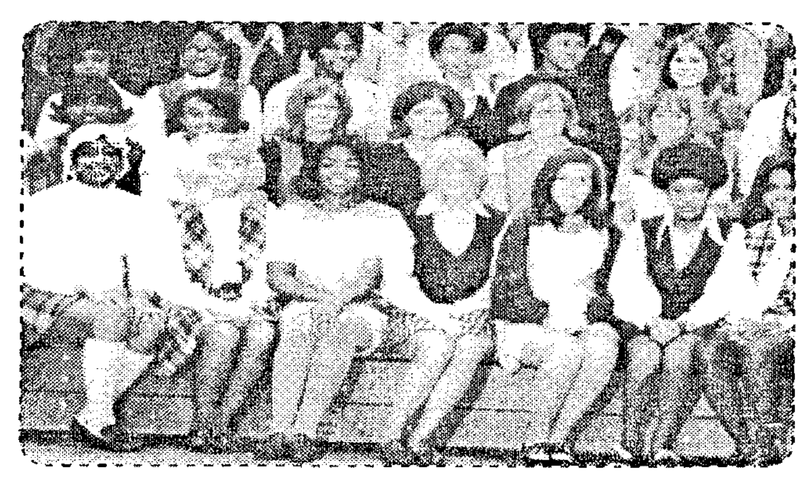
وفي وقت وجيز، حققت وثبة نوعية نحو القمة، فلم تكتف بإحراز شرف الامتياز، بل حققت احترام أساتذتها وزملائها كذلك، وشاركت في العديد من الأنشطة التكميلية خارج أوقات الدراسة، فكان أن انضمت إلى نادي المسرح ومارست الإلقاء والخطابة ضمن فرقة لفنون الخطابة تجمع بين الخطابة والنقاش، وتتنقل إلى المدارس الأخرى بغرض المنافسة.

وقد تحدثت فيها أوبرا وكلها فخر بأصولها عن اثنين من أشهر الناشطين ضد الاستعباد، هاريت توبمان[1] (Harriet Tubman)، وسوجورنر تروث[2] (Sojourner Truth).

كما ألقت مقاطع من أحد أحب الكتب إليها: «اليوبيل»[3] لـ مارغريت والكر (Margaret Walker)، الذي يحكي قصة «فيري»، ابنة إحدى الإماء وصاحب مزرعة.

وبحلول عامها النهائي، كانت أوبرا تحلق في سماء النجاح، وثقتها بنفسها ما

1. هاريت توبمان :Harriet Tubman أميركية ذات أصول إفريقية عانت مرارة العبودية، وشقت طريقها نحو الشمال، لتحصل على صك «الحرية» النفيس. وقد واجهت في سبيل ذلك صعوبات جمة، وما أن وصلت إلى حدود الشمال، حتى راحت تتراجع خطوة خطوة إلى الوراء، ولم تخط تلك الخطوة التي كانت تتمناها في كل لحظة من حياتها، لأنها فكرت في أهلها وجماعتها، فهي لن تنال الحرية إذا كانوا مقيدين في براثن العبودية. فرجعت إليهم، وقدمت لهم الخطط وساعدت بعض الأسر حتى يصلوا إلى الشمال دون أن يصطادهم «البيض»، وهرب على يدها الكثير من الأسر ذات الأصول الإفريقية انظر: صحيفة الوسط البحرينية، العدد 2352، الجمعة 13 فبراير 2009. «المترجم»



تنفك تزداد وتربو، مما دفعها إلى اتخاذ قرار بالترشح لنيابة رئيس مجلس الطلاب.

ولما كانت وعودها بتحسين نوعية الأكل في الكافتيريا، وتنمية الروح العلمية وإنشاء فرقة موسيقية للحفلات أمورا واقعية، فقد جذبت إليها أصوات غالبية زملائها وفازت بالمنصب.

ونظير تفوقها ونشاطها الإضافي، دعيت أوبرا ذاك العام لحضور مؤتمر البيت الأبيض للشباب في «إيستس بارك» بولاية كولورادو (Estes Park Colorado)، جنبا إلى جنب مع نخبة من الطلاب المتميزين من كافة ربوع

---

2. سوجورنر تروث Sojourner Truth: عرفت سابقاً باسم إيزابلا بومفري (Isabella Baumfree)، كانت من العبيد في الولايات المتحدة، وكانت ناشطة في مجال حقوق المرأة، ومؤيدة بشدة لإبطال الاسترقاق.

بيعت لرجل اغتصبها وكان يضربها يوميا.

ثم أجبرت على الزواج من عبد كبير في السن وأنجبت منه عدة أبناء، لكنها هربت مع ابنتها الرضيعة بحثاً عن الحرية.

وقد غيرت تروث اسمها إلى «سوجورنر تروث»، وفي عام 1850 نشر ويليام لويد جاريسون كتابا لها هو «قصة سوجورنر تروث» بشكل سري.

في العقد التالي ألقت تروث العديد من الخطب أمام مئات من الناس.

من أشهر خطبها «ألست أنا امرأة؟» (بالإنجليزية: Ain't a Woman) ألقتها في عام 1851 في مؤتمر أوهايو لحقوق المرأة.

وخلال الحرب الأهلية ساعدت تروث جيش التوحيد (Union Army) على تجنيد السود. «المترجم»

الوطن، وخمسمائة من أكبر رجال الأعمال، وشاركت خلاله في نقاش تناول قضايا المراهقين ومشاكلهم.

ولدى عودتها إلى ناشفيل، أجرى معها «جون هايدلبرغ (John Heidelberg)»مهندس الصوت بمحطة WVOL الإذاعية المحلية الخاصة بالسود حوارا على الهواء.

وكانت أوبرا آنذاك ما تزال تبلي حسنا في دروسها وتزداد قوة وحماسة، وهو ما كسبت به إلى جانب احترام زملائها، شعبية واسعة في أوساطهم.

وفي عام 1971، أي خلال سنتها النهائية، أقامت احتفالا كبيرا بمناسبة عيد ميلادها السابع عشر، نظمته في قاعة الرياضة بالمدرسة حتى يسع كل أصدقائها فقد دعت «كل من بالمدرسة».

وبعد أشهر، تلقت اتصالا هاتفيا من مهندس الصوت جون هايدلبرغ الذي حاورها قبل شهور حول مؤتمر الشباب في كولورادو.

ولما كانت أوبرا، الطالبة بالمدرسة العليا، فصيحة، طليقة اللسان، قوية البيان خلال حديثها على الهواء، طلب منها جون أن تمثل المحطة الإذاعية في مسابقة ملكة جمال المطافئ[1] في ناشفيل.

1. ملكة جمال المطافئ Miss Fire Prevention: في الولايات المتحدة، تقوم كل الإدارات الرسمية الخدمية باستعراض سنوي، يختارون فيه ملكة جمال، كما هو الحال مثلا عند العودة إلى الدراسة في الجامعات بعد الإجازة الصيفية(Homecoming Queen). وتختار في مسابقة تشترك فيها الكثير من المتسابقات، وتكون هذه الملكة على رأس المسيرة السنوية للإدارة، في هذه الحالة إدارة الإطفاء.«المترجم»

ويتوجب عليها أن تلعب دورا على مدار السنة، كأن تزور المدارس والمؤسسات العامة لإذكاء الوعي بمخاطر الحرائق وسبل الوقاية وما شابه ذلك. في العالم العربي ليس لدينا إدارات إطفاء فعالة ناهيك عن أن يكون لها دور فاعل في المجتمع وأن تصل إلى مرحلة الوقاية وإذكاء الوعي، أو تعيين ملكة جمال المطافئ.« المترجم»

كان فرنون معارضا للفكرة، وكذلك أوبرا بادي الرأي، لأنها أدركت أن المنافسة ستكون ضارية، خاصة بوجود حشد من الفتيات الجميلات اللواتي يسعين للحصول على اللقب.

لكنها تمعنت في الأمر ورأت أن لا شيء ستخسره إن هي شاركت، فقررت دخول المنافسة.

وعندما وقفت أوبرا أمام لجنة التحكيم، كانت السوداء الوحيدة وسط نخبة من الشقراوات ذوات الشعر الأحمر القاني.

ولما رأت ألا فرصة لديها في الفوز، ارتأت أن تسترخي وأن تكون على سجيتها خلال المنافسة.

وقد تحول سلوكها الاسترخائي ذاك إلى إستراتيجية ناجحة، فلما سألت لجنة التحكيم الفتيات عما سيفعلنه بمبلغ مليون دولار لو امتلكنه يوما، انفجروا ضاحكين من جواب أوبرا الصادق العفوي.

> **قالت أوبرا: «سأنفقه كالبله ذات اليمين وذات الشمال!!.. لست متأكدة تماما مما سأصرفه عليه، لكنني حتما سأصرف وسأصرف وسأصرف!..».**

وعندما صارت الأسئلة أكثر جدية وسئلت أوبرا عما ستفعله إذا خرجت لتواجه العالم، ترك فيهم جوابها أثرا بليغا.



« قلت لهم إنني أريد أن أكون صحفية تلفزيونية لأنني أومن بالحق وكان همي أن أصدع بالحق على الملإ.»



وقد حازت أوبرا بفضل شخصيتها المرحة الذكية وثقتها بنفسها على أصوات الحكام لتتوج بذلك ملكة جمال المسابقة للعام 1971، وكانت أوبرا أول امرأة سوداء تفوز باللقب.

وبعد أشهر قليلة، توجهت أوبرا تلقاء المحطة الإذاعية التي مولت مشاركتها في المسابقة من أجل جمع التبرعات لحملة «مسيرة العشرة سنتات»، وهو مشروع خيري نظم لفائدة أبحاث حول الوقاية من تشوه الأجنة.



وبينما هي هناك، أعطاها جون هايدلبرغ ورقة خطت عليها بعض الأسطر، وطلب منها أن تقرأها في ميكروفون الإذاعة ففعلت.

سجلها جون وأسمعها لمديرة المحطة كلارين كيلكرس(Clarene Kilcrese)، التي أعجبت أيما إعجاب بملكة أوبرا الطبيعية على الحديث على الهواء، فمنحتها فرصة عمل بعد الدوام بالمدرسة، فأصبحت تستعرض الأخبار كل نصف ساعة من الرابعة إلى الثامنة مساء، عوضا عن عملها في متجر والدها.



لم تكن أوبرا آنذاك تتجاوز السابعة عشرة من العمر، ومع ذلك حصلت على أول مهنة لها كمذيعة أخبار.

كانت تتلقى عنها مائة دولار في الأسبوع، وهو ما يعد ثروة بالنسبة لمراهقة.

وعلى الرغم من عامها النهائي المشحون، بذلت أوبرا وسعها لتحافظ على درجاتها الدراسية عالية، إلى جانب عملها في الإذاعة، كما ازدادت شعبيتها في مدرستها.



فانتخبت الفتاة الأكثر شعبية في قسمها متفوقة بذلك على الصبي الأكثر شعبية أنطوني أوتاي (Anthony Otey) الطالب المحترم الذي كان زميلا لها في فرقة فنون الخطابة إلى جانب عدد من زملائهم المهتمين بالخطابة، والذين كانوا ينافسون المدارس الأخرى.

وفي العام ذاته، كانت أول رحلة لأوبرا إلى لوس أنجلوس (Los Angeles) لإلقاء خطاب بتمويل من فريق كنسي.

وقد استغلت أوبرا فرصة وجودها هناك لزيارة المناطق السياحية وحدائق التسلية في هوليوود (Hollywood).

وعندما وطئت قدماها رصيف ساحة مسرح غرومان (Grauman)

الصيني المسمى «ممر نجوم هوليوود»[1]، سيطر عليها شعور بأنها ستحقق مستقبلا باهرا، وعند عودتها إلى ناشفيل، أخبرت والدها أنه سيأتي يوم يسجل فيه اسمها كذلك بأحرف من ذهب.

خلال الأعوام الثلاثة التي قضتها أوبرا في منزل والدها، استطاعت التغلب على كل العراقيل التي واجهتها، وصبت اهتمامها كله على النجاح.

ففازت بجوائز وامتيازات عديدة في المدرسة، وأصبحت نجمة فريق الحوار التنافسي وكسبت احترام زملائها وأساتذتها على السواء، كما نالت لقب ملكة الجمال، وعملت مقدمة أخبار في محطة إذاعية خاصة بالأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية.

وكان فرنون فخورا بانجازات ابنته، لكنه مع ذلك كان ما يزال يراها غير مستعدة بعد لتغيب عن رقابته وعن عينه الحارسة حين تخرجت وآن أوان التحاقها بالجامعة، لذلك رفض أن تدرس في جامعة بعيدة عن البيت، فسجلت في جامعة ولاية تينيسي العمومية إرضاء لوالدها وكانت الجامعة تقع على مقربة من منزلها بناشفيل وكان كل طلبتها من السود.

أرادت أوبرا أن تدرس تخصص السمعي

1. ممر أو ممشى نجوم هوليوود the Hollywood Walk of Fame : يقع ممشى المشاهير في هوليوود أمام مسرح غرومان الصيني. طوله حوالي 5.5 أميال وتوجد به أكثر من 2000 نجمة برونزية منحوتة فيه تكريماً لنجوم السينما و الموسيقيين و المنتجين و غيرهم من كبار الشخصيات في العالم. « المترجم»

البصري، ولما لم يكن بجامعة تينيسي آنذاك قسم إعلام واتصال سجلت في معهد الخطابة والدراما.

وقد وقعت في ذلك الوقت أحداث جسام هزت كل فروع المعاهد عبر الوطن؛ كان الجو مشحونا بالاضطرابات، والسبب أن العديد من الطلبة السود أحسوا أن المجتمع لا يعاملهم على أساس من العدل، فانضم كثير منهم إلى جماعة سمت نفسها «**الفهود السود**» وكانت تهدف إلى توعية السود بالأوضاع السائدة، وكانوا على استعداد لاستعمال العنف والسلاح لبلوغ مآربهم.

لم ترق سياستهم العسكرية أوبرا فرفضت الانضمام إليهم، إذ وعلى الرغم من أنها كانت فخورة بأصولها، إلا أنها لم تشك مطلقا من التمييز العنصري، وهذا ما جعلها بمنأى عن باقي الطلبة.

وقد خاطبتهم يوما قائلة: «**أعلم أنكم مستاؤون مني، لكني أرفض أن أدعم التفكير العسكري الراهن.**»

عوضا عن ذلك، ركزت أوبرا كل جهدها على عملها في قسم المسرح.

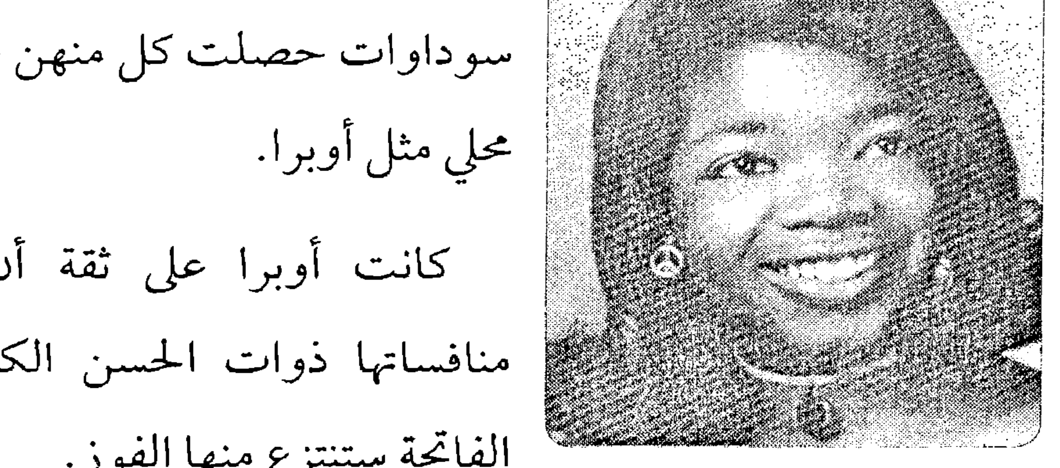
وفي أحد الأعمال الخالدة، لعبت أوبرا دور كوريتا سكوت كينغ (Coretta Scott King)، زوج مارتن لوثر كينغ جونيور[1] (Martin Luther KingJr.).

كما شاركت خلال سنتها الأولى بالجامعة في مسابقة ملكة جمال السود

1. مارتن لوثر كينغ جونيور Martin Luther King Jr : يلقب بـ "جونيور" حتى يفرق بينه وبين والده فهما يحملان الاسم ذاته، فأضيف إلى اسم والده "سينيور" (Sr: Senior) أو "الأب" وإلى اسمه "جونيور" (Jr: Junior) أو "الابن".« المترجم»

بناشفيل، والتي موّلها نادي «الأيائل السود»، وفازت بأصوات لجنة التحكيم ليس لجمالها ورزانتها فحسب، بل لقاء آداءاتها المسرحية الفصيحة المتقنة.

ونظير فوزها بلقب المهرجان، رشحت أوبرا للحصول على لقب ملكة



جمال تينيسي، وكانت منافساتها فيه ست فتيات سوداوات حصلت كل منهن على لقب مهرجان محلي مثل أوبرا.

كانت أوبرا على ثقة أن لا واحدة من منافساتها ذوات الحسن الكلاسيكي والبشرة الفاتحة ستنتزع منها الفوز.

قالت أوبرا: «**لم أعد أومن كما في السابق أن الأفضل من كان لونه أفتح.**»

ونتيجة انبهار لجنة التحكيم بها، أعطوها كل أصواتهم لتفوز أوبرا باللقب مع منحة دراسية لإتمام الدراسة في معهدها.

كانت أوبرا آنذاك ما تزال ثابتة على موقفها الرافض للخوض في معمعة السياسة.

لكن أحداث العنف الذي صبغ أواخر الستينات وأوائل السبعينات كانت قد مهدت الطريق لتغيرات في سياسة الحكم.

لقد أدت الحملة العنيفة التي قادها طلبة المعهد إلى خلق فرص كبيرة للسود سواء في معاهد الدراسة أو في سوق العمل.

فقد شجعت السياسة الجديدة للحكومة والمسماة «**الحركة الإيجابية**» رجال الأعمال على تحقيق أهدافهم بمنحهم تحفيزات مالية مقابل تشغيل الأقليات بما فيهم النساء.

لم تكن أوبرا من ضمن المحتجين الذين سعوا إلى التغيير، لكنها ولحسن حظها، ستكون إحدى المستفيدات من حركتهم.







الفصل الخامس

وجهة جديدة



وجهة جديدة



عندما سمع مخرج بالمحطة التلفزيونية WTVF الطالبة اليافعة أوبرا أثناء قراءتها الأخبار على أمواج الأثير، لفته أنها تتفرد، إلى جانب موهبتها، بميزتين اثنتين تتطلبهما سياسة «الحركة الإيجابية»، **إحداهما** كونها سوداء **والأخرى** أنها امرأة.

فقرر تنظيم فحص انتقائي يختار من خلاله صحفية للمحطة.

وكانت أوبرا، الطالبة بالسنة الثانية في الجامعة، شديدة العصبية، وعلى الرغم من أنها كانت تتحدث بارتياح في ميكروفون الإذاعة، إلا أنها لم تختبر ذلك أمام عدسة الكاميرا يوما.

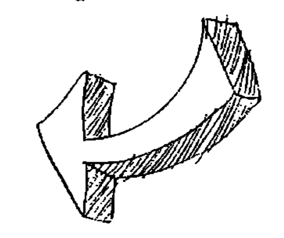
وبدل الاكتفاء بأن تتصرف على سجيتها، رأت أن تحتذي بمقدمة الأخبار الشهيرة وإحدى مثلها العليا، باربرا والترز (Barbara Walters)، فجلست بالطريقة التي تجلس بها كما حاولت تقليدها في طريقة كلامها.

وقد نجح مخطط أوبرا وحصلت على الوظيفة.

غير أن سبب اختيار الإذاعة لها لمثل تلك المكانة المرموقة لم يكن بالخفي عنها.

كانت تعلم أنهم إنما فعلوا ذلك تماشيا مع مبادئ سياسة «**الحركة الإيجابية**» وقد علقت عن ذلك في وقت لاحق فقالت:

«**يبدو أنني كنت ورقة سياسية رابحة**».

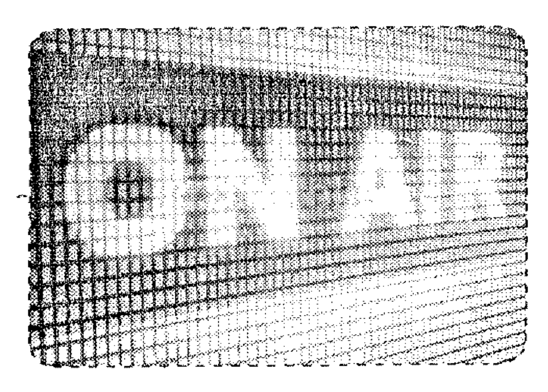


أي أنها كانت تعتقد أنها اختيرت فقط لأنها سوداء، وليس بالضرورة لأجل موهبتها الصحفية.

ثم أضافت: «**ولكن الحظ إلى جانب ذلك حالفني.**»

وفي العام 1976، صارت الفرص السعيدة تتلألأ في سماء أوبرا كالنجوم فقد كانت تعمل في البداية أيام عطل نهاية الأسبوع فقط.

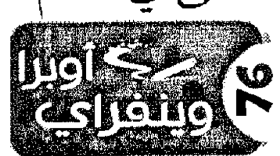
لكن كريس كلارك (Chris Clark)، مدير الأخبار بالقناة بسط لها جناح الرعاية وتكفل بتطوير مهاراتها، فأصبحت تظهر على الهواء كل ليلة إلى جانب الصحفي المحنك هاري شابمان (Harry Chapman).



ولم يكن جدول أعمالها المكثف يؤثر سلبا في تحصيلها العلمي بالجامعة.

ولما كانت على وشك التخرج ولم يبق بينها وبين نهاية مشوارها الجامعي إلا مشروع التخرج، اعترضت طريقها فرصة عمل لا تقاوم...

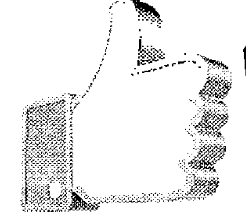
وكان عليها وقتها أن تقرر، إما أن تواصل دراستها أو أن ترتقي إلى الدرجة الأعلى في سلم الوظائف.



كانت المحطة التلفزيونية WJZ-TV في بالتيمور بولاية ميريلاند (Baltimore Maryland)، وهي عاشر أكبر محطة في عالم البث التلفزيوني تبحث عن مواهب جديدة، وقد شاهد أصحابها وينفراي على محطة ناشفيل فاتصلوا بها بشأن الوظيفة.

ومع أن قبولها بالوظيفة كان يعني ترك مقاعد الدراسة قبل التخرج رسميا.

إلا أن وينفراي قررت أن تلتحق بالمؤسسة الأمريكية للتلفزة (ABC) من خلال هذا العرض في وقت اعتبرته الأنسب لمغادرة ناشفيل، فقد حققت قدرا من الخبرة لا بأس به بعملها منشطة تلفزيونية، كما رأت أن الأوان قد آن لتحرر من قيود والدها اللصيقة وتقتحم عالم الكبار.



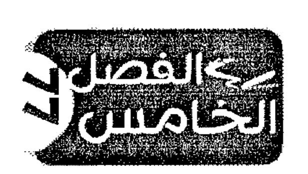
لقد حظيت أوبرا بفرصة كان من الصعب عليها تضييعها بل كانت تسعى من خلالها لأن تصنع لاسمها مجدا.

تقع مدينة بالتيمور في الساحل الشرقي للولايات المتحدة، وكانت الحياة فيها أعقد وأسرع وأوسع ثقافة منها في ناشفيل.

وما إن وافقت أوبرا على الانتقال حتى ملأت المحطة المدينة بلوحات إعلانية كان مضمونها:

«**ما الذي تعنيه أوبرا؟**»، في محاولة لزيادة ترقب الجماهير لمقدمها.

وعلى الرغم من أنها أوجست في نفسها خيفة بسبب تسليط الضوء عليها



بتلك الصورة، إلا أنها كانت تدري أن الواجب عليها أن تطلق العنان لقدراتها ومواهبها فيما اعتقدت أنها خلقت لأجله.

لكن ابنة الاثنين والعشرين ربيعا، وعلى كبر طموحها وعلو همتها، لم تستطع التأقلم بسهولة مع وطنها الجديد، فقد تطلب منها الأمر سنة كاملة لتعتاد العيش فيها.

قالت عن ذلك: «عندما شاهدت وسط المدينة للمرة الأولى، شعرت بالصدمة فاتصلت بوالدي وأنا أجهش بالبكاء..»

كان على أوبرا آنذاك مواجهة تحديات جديدة في مهنتها الرفيعة، فكانت تجلس مساء الأيام المخصصة للعمل إلى جانب جيري تورنور (Jerry Turner) وكان مراسلا صحفيا محترفا عمل عشر سنوات مقدما للأخبار بالمحطة.

ولما كان جيري يخطط لتغيير مكان عمله ، كانت أوبرا أحيانا تقرأ الأخبار بدلا منه و كثيرا ما كانت تنفعل فتبكي إذا ما صادفتها قصص مأساوية.

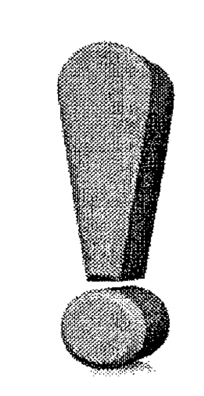
لكن جمع المخرجين بالمحطة سرعان ما لاحظوا أن فريق الإعداد لم يكن يبلي حسنا، لم تكن أوبرا في نظرهم ملائمة لتقديم الأخبار على الهواء، فاختبروها في مهنة مراسلة صحفية لكنها لم تفلح.

قالت أوبرا: «كان انفتاحي السبب وراء فشلي كمراسلة صحفية، فإذا ما كلفت بنقل وقائع حريق مثلا، كنت أقول لمن فقدوا أبناءهم: حسن، سيكون كل شيء على ما يرام، لستم ملزمين بالتحدث إلي!».



لم ترق شخصية أوبرا المتفهمة والمنفتحة مخرجي التلفزة، لكنهم وقعوا معها عقد عمل لمدة عامين.

تقول أوبرا: «**كنت محطمة تماما، لأني حتى ذلك الوقت، لم أعرف برا أرسو عليه، كنت أمر بمنحدر سحيق يبعدني أكثر فأكثر عن درب النجاح.**»



أما آخر ضربة وجهت إليها فقد كانت إلحاحهم عليها بأن تعيد ترتيب شكلها.

فأرسلوها إلى نيويورك (New York) لتعيد تسريح شعرها، لأنهم لم يريدوا لها أن تبدو بالمظهر الشعبي الذي أكل عليه الدهر وشرب.

غير أن تسريحة الشعر الجديدة بدت بصورة أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها كارثية، كما أن المستحضرات الكيميائية قوية التركيز التي كان يفترض بها تليين ملمس شعرها سببت تساقط معظمه، لأنها تركت على شعرها فترة أطول مما يجب، ولهذا اضطرت أوبرا لاستعمال شعر مستعار خلال أشهر تالية، مما ساعدها على استعادة بعض الثقة بنفسها.

وقد تعلمت أوبرا من الحادث أن تقدر ذاتها لجوهرها لا لمظهرها.

كانت الوحدة وخيبة الأمل حتى ذلك الوقت رفيقي أوبرا الوحيدين، إلى أن استخلصت لنفسها رفيقة جديدة اسمها غايل كينغ (Gayle King) التي كانت مساعدة إنتاج بالقناة التلفزيونية ذاتها التي تعمل فيها أوبرا.



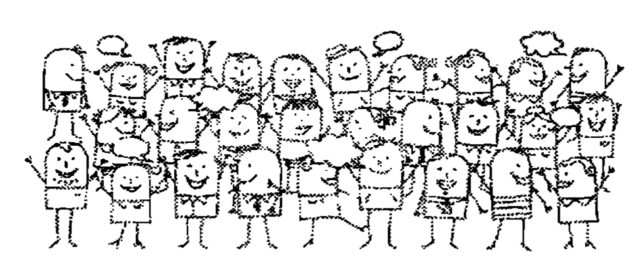
وقد كان اللقاء بينهما في ليلة هبت فيها عاصفة ثلجية هوجاء، وكان منزل غايل يبعد 35 ميلا (50 كيلومترا) عن المحطة، فدعتها وينفراي لتقضي الليلة في بيتها الواقع غير بعيد عن مكان عملها.

وسرعان ما شعرت كل منهما بالارتياح تجاه الأخرى، وجلستا تتحدثان حتى السحر.

ولم يمض الكثير من الوقت، حتى صارت المرأتان صديقتين حميمتين، وكانتا تتحدثان معا بالهاتف كل ليلة.

قالت وينفراي: **«على الرغم من كل ما اعتراني من سوء، كنا نغرق في الضحك كل ليلة لسبب أو لآخر»**.

وبحلول فصل الربيع، تولى إدارة الشبكة التلفزيونية **بيل بايكر (Bill Baker)**، الذي سعى في مستهل مشواره إلى إنتاج برنامج محلي في محاولة لمضاهاة برنامج حواري وطني حقق نجاحا باهرا آنذاك أو التفوق عليه، كان يسمى: «**برنامج دوناهو**» ويقدمه الشهير **فيل دوناهو (Phil Donahue)**.



لذلك، عمل بايكر على استحداث برنامج سماه: «**الناس يتكلمون**»، وطلب من أوبرا أن تتقاسم تنشيطه مع **ريتشارد**

شير (**Richard Sher**)، وكان من المبرمج أن يحاور خلاله شخصيات شهيرة، وكذا أناس من العامة، ممن عاشوا تجارب مثيرة أحبوا أن ينقلوها إلى غيرهم.

وقد حقق البرنامج نجاحا باهرا، قالت عنه أوبرا: «**في اللحظة التي عرض فيها البرنامج للمرة الأولى، رددت في سري: حمدا لله، عثرت أخيرا عما كنت أبحث عنه، إنه كالهواء الذي أتنفس.**»



وأثبتت التقديرات أن وينفراي أصابت الهدف فعلا، وجعلت المحطة على موعد مع نجاح هز الشاشات، وغزا البيوت، فكانت المشاهدات من النساء يضبطن أجهزة التلفزيون على برنامج «**الناس يتكلمون**» بدلا من «**برنامج دوناهو**» الشعبي الذي كان يعرض على مدار السنة.

أما أوبرا، فقد أرضى تغلبها على دوناهو غرورها، وقالت:

«**لا أنكر أني أحب فيل دانهو، لكني أعترف كذلك أن التغلب عليه يبعث في النفس شعورا رائعا، لقد مر وقت طويل وأنا لا أستطيع أن أؤدي عملي دون أن أسمع من الناس قولهم: «حسن، لا بأس بك، لكن هل ستضاهين دوناهو؟»**»

لقد نجحت أوبرا نجاحا كبيرا كمقدمة برنامج حواري، لكن في الوقت ذاته كانت تعاني في حياتها الشخصية الكثير.



كانت على علاقة بأحدهم مدة أربع سنين، لكنهما انفصلا في عام 1981، فانفطر قلبها حزنا، وسقطت طريحة الفراش ثلاثة أيام متتالية، ثم كتبت رسالة لصديقتها غايل تخبرها فيها عن نيتها في الانتحار، إلا أنها لم تسلم غايل الرسالة أبدا، كما لم تتجرأ على وضع حد لحياتها كذلك.

وقالت وينفراي خلال حديث لها إلى مجموعة من الصحفيين بعد أعوام من ذلك حول تلك الأيام العصيبة، أن الرسالة لم تكن أمرا جديا، دون أن تنكر أنها مرت خلال تلك الفترة بمرحلة اضطراب عاطفي كبير في حياتها.

لقد تعاملت أوبرا مع ألمها بالإفراط في الأكل، فجعلت منه وسيلة تشعرها بالتحسن و الارتياح، وقد نتج عن ذلك ازدياد وزنها بـ50 باوندا (23 كيلوغراما).

وقالت وينفراي: «**كان الأكل يعني لي الأمان و الاستقرار.. وكان يعني الحب**».

وبالرغم من وزنها المتزايد، إلا أن أوبرا كانت قادرة على تجاوز محنتها بالهمة نفسها التي استطاعت بها تجاوز مآسي طفولتها القاسية، كما استطاعت أن تبعد عن طريقها أشواك اليأس وأن تتطلع نحو المستقبل، فقد آن الأوان للارتقاء نحو العلا.



الحركة الإيجابية

في عام 1964، أقرت الولايات المتحدة سياسة الحركة الإيجابية التي تهدف إلى تعويض عشرات السنين من التمييز ضد المرأة والأقليات.

وكان على المدارس والشركات التي تلقت الدعم بميزانية رسمية أن تستقبل عددا معينا من الأقليات من الطلبة في مدارسهما أو أن توظف عددا من المستخدمين السود في شركاتها، وإلا فستفقد الدعم المالي الرسمي، وقد سمي ذلك بنظام الحصص.

وفي عام 1972، شكلت حركة فرص العمل المتساوية لجنة لدعم هذه السياسة، لكن بحلول أواخر السبعينات، اعترض البعض ممن لم يكونوا من ضمن الأقليات على حصص «الحركة الإيجابية» التي خلقت على حد زعمهم تمييزا عنصريا عكسيا. وبين العامين 1979 و 1991، نوقشت في المحكمة العليا عدة حالات معارضة لنظام الحصص، وبحلول عام 2003، قضت المحكمة بأن المؤسسات التعليمية تستطيع أن تعتبر العرق عاملا لقبول الطلبة طالما لم يسووا وضعية الحصص الخاصة.



البرامج الحوارية النهارية اليومية

كانت البرامج الحوارية التلفزيونية الأولى على شبه كبير بالبرامج التفاعلية بالإذاعة، وقد انطلق عرض أول برنامج حواري نهاري يومي في 14 من شهر كانون الثاني/ يناير 1952 على شاشة NBC، كان يسمى «برنامج اليوم» وكان يقدمه الشخصية الإذاعية دايف غاروواي (Dave Garroway) ثم أدار فيل دوناهو (Phil Donahue) برنامجا تفاعليا على الإذاعة في دايتون بأوهايو(Dayton Ohio) قبل أن يصبح مقدم «برنامج دوناهو».

وانطلق عرض «برنامج دوناهو» محليا في بالتيمور العام 1967، ثم أذيع وطنيا ما بين 1976 و 1996.

وقد شجع دوناهو جمهوره بشكل رهيب على المشاركة عن طريق انتقاله في الأستوديو حاملا الميكروفون بيده.

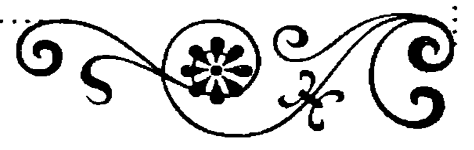
وكثيرا ما كان برنامج دوناهو يبحث في مواضيع حساسة.

وعندما ارتقت أوبرا سلم النجاح الصحفي الوطني عام 1986، سارت على خطى دوناهو، وأذاعت ما سماه بعض النقاد تفاهة الشاشة.



الفصل السادس

أوبرا تصنع لاسمها مجدا





أوبرا تصنع لاسمها مجدا

بحلول العام 1984، كانت أوبرا قد بلغت الثلاثين من عمرها، وكانت قد قضت السنوات الست الأخيرة مشاركة في تنشيط البرنامج الحواري الأكثر نجاحا في بالتيمور، **لكنها كانت مع ذلك شديدة اللهفة للتغيير، فقد كانت تطمح للتحليق عاليا في سماء النجاح، بعيدا عن شجون ماضيها وعلاقتها الفاشلة.**

وقد أرادت أوبرا أن تخوض غمار تحد كبير، فعندما سمعت عن شغور منصب مقدم البرامج الحواري «**أي - أم شيكاغو A.M Chicago**» (صباح **الخير شيكاغو**) في محطة WLS التلفزيونية في إيلينوي (Illinois) إحدى أكبر مدن ولاية شيكاغو، لم تتردد أوبرا لحظة في خوض غمار المنافسة على الوظيفة بل وكانت على أهبة الاستعداد للفوز بها.

وتكنى شيكاغو «مدينة الرياح» بسبب الرياح العاتية التي تعصف على بحيرة ميشيغان (Michigan) خلال أشهر الشتاء، وهي المدينة ذاتها التي أنتج فيها الشهير فيل دوناهو برنامجه.

لكن لا قساوة الطقس ولا ضراوة المنافسة أثنتا عزائم وينفراي.



كانت تدرك أن الفرصة أكبر من أن تتخلى عنها، فطارت إلى شيكاغو لإجراء مقابلة الاختبار.

وقد علقت أوبرا فور وصولها إلى شيكاغو قائلة:

> **«عندما وطئت قدماي المدينة وسرت في شوارعها، أحسست أن لي فيها جذورا وأنها أرضي الأم، فعلمت أنني إنما لهذا المكان أنتمي».**

وبدلا من أن تلقي كلمة أعدتها مسبقا لتسجل في شريط صوتي، اكتفت بحديث ارتجالي عن حياتها وعن عدد من المواضيع الأخرى.

وعندما استمع مدير المحطة **دينيس سوانسن (Dennis Swanson)** إلى تسجيل الاختبار، تأثر تأثرا كبيرا بفصاحة أوبرا وأعجب بثقتها بنفسها، فلم ينقض ذاك اليوم حتى كانت الوظيفة بين يدي أوبرا.

كانت رغبة أوبرا في الحصول على تلك الوظيفة المرموقة جامحة، لكنها لم تكن لتقبلها دونما شروط تفرضها، لأنها ما تزال تذكر ما حدث في الماضي عندما حاول المخرجون تغيير صورتها تغييرا جذريا فكانت النتيجة كارثية، ولما خشيت أن يتكرر المشهد ذاته، أوضحت لسوانسن أنها لن تفعل ما من شأنه تغيير هيئتها بشكل قاس.

وقد أخبرها سوانسن بعد انتهاء الاختبار أنه كان في غاية الرضا عن أدائها لكنه كان قلقا من أمر واحد فقط.



فأجابته وينفراي على الفور: «**أجل، أعلم.. سأنقص من وزني !**».



فقال سوانسن: «**ما هذا عنيت، ابقي على حالك، إنما ما يؤرقني هو كيف ستحققين الشهرة ؟!**».

كان برنامج فيل دوناهو يحتل الصدارة قبل أن تسحب أوبرا البساط من تحت قدميه.



كانت تلك الكلمات بالضبط هو ما كانت وينفراي تنتظر سماعه.

لم يكن خبراء الإعلام في البداية مطمئنين إلى ذلك التثمين المبالغ فيه لمواهب أوبرا.

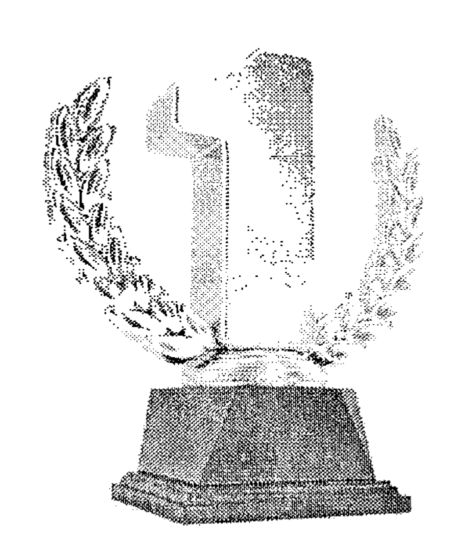
كانوا يعتقدون أن لا فرصة لديها في أن تمضي قدما في مجال التنشيط الصحفي خاصة في مواجهة المؤثر دوناهو.

إذ كيف يمكن لامرأة زنجية سمينة مجهولة أن تتغلب على الرقيق المتألق دوناهو، الذي استمر في تقديم برنامجه الحواري الصباحي الشهير لـ 16 عاما متواصلا، وكان الوسيم صاحب الشعر الأبيض ذا فكر ناضج وأسلوب راق جذب إليه إعجاب ربات البيوت في طول أمريكا وعرضها.

ومع ذلك، لم تلبث أوبرا أن أثبتت خطأ مزاعم المشككين وصدق سوانسن.

ففي غضون أربعة أسابيع فقط، وجهت لهم ضربة قاسية، فانتقلت ببرنامجها





من المركز الأخير إلى المركز الأول، وفجأة، أصبح «**برنامج دوناهو**» في المركز الثاني، وسرعان ما غير خبراء الإعلام الوتر الذي كانوا يعزفون عليه.

وبعد مضي عام وبفضل معدلات نجاحها الشاهقة، أصبح البرنامج يحمل اسم «**برنامج أوبرا وينفراي**»، وفي العام الموالي، بدأ يذاع وطنيا في أكثر من 135 محطة تلفزيونية.

وإلى جانب حصولها على برنامج يحمل اسمها، خصتها محطة شيكاغو بمرتب عال جدا كذلك، فبدأت مذ ذاك تتبرع بمبالغ كبيرة للأعمال الخيرية، وهو ما داومت أوبرا على فعله طيلة حياتها.

ومن أول المشاريع التي دعمتها إنشاء جماعة «**الأخوات الكبريات**»، من طريق تشجيع عدد من النساء ممن كن عضوات في هيئة إعداد البرنامج على القيام بدور استشاريات لـ 24 فتاة من مشروع إسكان ذوي الدخل المتدني في شيكاغو.

وكن يجتمعن بانتظام ليقصدن المكتبات أو يشاهدن الأفلام أويذهبن للتسوق سوية.

لقد أرادت وينفراي أن تساعد تلك الفتيات على تطوير تقديرهن لذواتهن حتى يجتنبن الحمل في فترة المراهقة، وحتى يولين اهتماما أكبر لدروسهن ويتخرجن وينجحن في الحياة.

وكانت تجود عليهن من مالها ومن وقتها، لكنها كانت إلى جانب ذلك شديدة الحزم معهن، فكانت تخاطبهن بلهجة قاسية قائلة:

«لن يكون بإمكانكن القيام بإنجازات عظيمة في الحياة، وأنتن لا تمتلكن الشجاعة لتواجهن رغبة رجل بـ «لا».. أتبحثن عن الحب والحنان؟؟ ما عليكن سوى إخباري بذلك، وسأجعل كلا منكن جروي الصغير المدلل».

سعد المخرجان التلفزيونيان روجر كينغ **(Roger King)** - على يمين



الصورة - **وجوزيف آران (Joseph Ahren)** بمشاركة أوبرا لهما إعلان انطلاق بث «**برنامج أوبرا**» على المستوى الوطني.

لكن أوبرا كانت واقعية بشأن النتائج المتوخاة من مشروعها ذاك، فإذا نجحت اثنتان فقط من بين البنات الأربع والعشرين في تخطي العقبات وتجاوز الصعاب، فسيكون ذلك أمرا مرضيا جدا بالنسبة لها، لأنها كانت تدرك حجم ما سيتحملن من ألوان العذاب وصنوف الشقاء في سبيل الوصول إلى بر الأمان، تماما مثلما فعلت هي لتتجاوز محن طفولتها.

لقد كانت مساعدة الآخرين إحدى امتيازات مهنة أوبرا رفيعة المستوى بالإضافة إلى فرص لقاء المشاهير، فقد حاورت ببساطتها وعفويتها وحماسها

المعتاد، نخبة من ألمع الشخصيات من أمثال: عضو فريق البيتلز[1] (Beatles) السابق بول مكارتني (Paul McCartney)، والممثلة القديرة سالي فيالد (Sally Field)، والموسيقار الشهير ستيف واندر (Steve Wonder)، والنجمة التلفزيونية كانديس بورجون (Candice Bergen)، وعارضة الأزياء المتألقة كريستي برينكلي (Christie Brinkley)، وحتى قدوتها، مقدمة الأخبار باربرا والترز، والكاتبة مايا آنجلو (Maya Angelou) ذات الأصول الإفريقية، التي صارت وأوبرا صديقتين حميمتين ما انفكت صداقتهما تتوطد عراها في الأعوام التالية.

لكن نجاح برنامج أوبرا كان يعكر صفوه في بعض الأحيان ضيوف متطرفون تدعوهم لمناقشة بعض المواضيع الحساسة، مثلما حدث في العام 1985، عندما حاورت عضوات في جماعة عنصرية كانت تدعى الكو كلوكس كلان[2].

وقد ظهرت النساء في البرنامج بفساتين بيضاء تثير الإزعاج، وقبعات خاصة بالجماعة.

---

1. البيتلز The Beatles: منحوتة من beat وbeetles "خنافس"، هي فرقة روك غنائية بريطانية تشكلت في ليفربول في عام 1960، وأصبحت واحدة من أكبر الفرق الموسيقية نجاحاً وأشهرها في تاريخ الموسيقى الشعبية.

تألف فريق البيتلز من جون لينون وبول مكارتني وجورج هاريسون ورينغو ستار.« المترجم»

2. الكو كلوكس كلان the Ku Klux Klan : واختصارا تدعى أيضا KKK هو اسم يطلق على عدد من المنظمات الأخوية في الولايات المتحدة الأمريكية منها القديم ومنها ما لا يزال يعمل حتى اليوم.

تؤمن هذه المنظمات بالتفوق الأبيض ومعاداة السامية والعنصرية ومعاداة الكاثوليكية وكراهية المثلية وأخيرا بالأهلانية.

تعمد هذه المنظمات عموما على استخدام العنف والإرهاب وممارسات تعذيبية كالحرق على الصليب لاضطهاد من يكرهونهم مثل الأمريكيين الأفارقة وغيرهم.« المترجم»



وعلى الرغم من أن الجماعة عرفت بمعاداتها للسوء ولليهود وللأقليات الأخرى، إلا أن أوبرا حافظت على هدوء أعصابها عندما حاولت النساء نشر فلسفة حزبهن من خلال برنامجها، فقررت ألا تفتح أبوابها أمام المتطرفين أبدا في المستقبل.

كما حاورت أوبرا إلى جانب أولئك أناسا من العوام ممن عاشوا تجارب مؤثرة، وأرادوا أن يشاركهم الناس آلامهم.

وقد أعطى ذلك جمهورها فرصة في التعبير بصورة أعمق عن مشكلات حياتهم.

وكثيرا ما كانت ردود أفعال أوبرا مفاجئة للجمهور لأنها كانت إنسانة صادقة الأحاسيس، فإذا ما ذكرتها إحدى ضيفاتها من المراهقات المتمردات بسنين مراهقتها المضطربة، كانت أوبرا تفقد صبرها وتوبخها على الهواء بسبب عدم قدرتها على التحكم في حياتها.



وكانت ردود أفعالها ترتكز على العاطفة، على عكس دوناهو الذي كان ذا منهج فكري، وقد عد ذلك عيبا فيها عندما كانت في محطة ناشفيل، أما وقد انتقلت إلى شيكاغو فقد أصبح ذلك يصب في مصلحتها.



كانت أوبرا تضحك وتبكي مع ضيوفها، وكلما كانت أكثر صدقا وأكثر انفتاحا، ازدادت شعبيتها ونمت شهرتها.

ولما سئلت عن السبب أجابت: «**أعتقد أن سبب نجاحي هو أن الناس أحسوا بأني قريبة من واقعهم**».



وكانت أوبرا تبدو أمام الكاميرا هادئة مسترخية، وما إن تعود إلى منزلها حتى تحيق بها ضغوط يومها، فتعود إلى سابق عهدها: تهدئ أعصابها من طريق الأكل بدلا من أن تبحث عن حل تعالج به ضغوطها.

وفي ظرف 6 أشهر، ازداد وزنها بـ 10 كيلوغرامات.

قالت أوبرا: «**كنت أتبجح بأني لا أتعرض للضغوط النفسية مطلقا، والسبب في ذلك هو أني كنت آكل طريقي إليها**».

على الرغم من أن وزن أوبرا كان الشغل الشاغل لعناوين الأخبار في صحف التابلويد الشعبية، وهي جرائد اختصت في نشر الشائعات حول المشاهير، إلا أن حجمها لم يكن ليؤثر بالسلب في معدلات نجاحها ولا في فرص تطورها في فن صناعة الترفيه.

وعشية عيد ميلادها الحادي والثلاثين، استضيفت أوبرا في البرنامج الحواري الوطني الشهير «**برنامج الليلة**»، الذي كان يعرض آخر الليل ويقدمه آنذاك جوني كارسون (**Johnny Carson**).

كانت تلك هي المرة الأولى التي يشاهد فيها العالم أوبرا، ليس فقط في المدن التي كان يعرض فيها برنامجها، ولكن في كل ربوع الوطن.

وقد دعي تلك الليلة إضافة إلى أوبرا المنتج السينمائي والموسيقار كوينسي جونس (**Quincy Jones**)، ولم يحدث خلال تلك الليلة ما يدعو إلى الاهتمام لكن اتضح لاحقا العكس، فقد أراد جونس رؤية أوبرا مجددا لأمر يهمها، ولعل تلك المصادفة ستقود أوبرا نحو درب جديد لمهنة غاية في المتعة والروعة.



مايا أنجلو

ولدت الشاعرة والكاتبة الأمريكية ذات الأصول الإفريقية مايا أنجلو في عام 1928، لكنها لم تكن معروفة ككاتبة فحسب، بل كناشطة لا تكل ولا تمل في مجال الحقوق المدنية.

ومنذ العام 1959، عملت جنبا إلى جنب مع مارتن لوثر كينغ جونيور.

وفي منتصف الستينات، أصدرت عدة جرائد في إفريقيا منها: الأفريكان ريفيو (المجلة الإفريقية) و الآراب أوبسارفر (المرصد العربي).

غير أن أنجلو عرفت أكثر في تراجمها الذاتية على غرار كتاب «أعلم الآن لم تغرد العصافير السجينة»و «كل أبناء الله بحاجة إلى أحذية سفر».

أما كتابها «اسقني جرعة ماء زلال فحسب قبل أن أموت» فقد رشح لنيل جائزة «البوليتزر» العام 1991.

وقد أنشدت أنجلو أحد أشعارها «مع مطلع الصبح» في حفل تنصيب الرئيس بيل كلينتون العام 1993.



الفصل السابع

عشق البنفسج



عشق البنفسج

في شتاء العام 1985، حل كوينسي جونس بشيكاغو في رحلة عمل قصيرة، وبينما هو في غرفته ينتقل بين القنوات شارد الذهن، استوقفته فجأة صورة أوبرا وينفراي أثناء تقديمها لبرنامجها الحواري الصباحي.

أمعن جونس النظر في أوبرا وقد خطر له خاطر ما: «**ستكون أوبرا أنسب شخص لتمثيل دور صوفيا (Sofia) في فيلم «لون البنفسج»** الذي كان يخطط لإنتاجه مع ستيفن سبيلبرغ (Steven Spielberg)، وهو فيلم مستوحى من كتاب أليس والكر (Alice Walker) الأعلى مبيعا.

لم يكن جونس على علم بأن أوبرا كانت هي الأخرى من أشد المعجبات بكتاب والكر.

فقبل عام خلا، اطلعت أوبرا على مقال عن «**لون البنفسج**» في مجلة نيويورك تايمز (New York Times)، وطلبت من مكتبتها المحلية إضافته إلى طلبية خاصة بالكتب.

ولما صار بين يديها، قرأته بلهفة شديدة، وسرعان ما أصبح أحد كتبها

المفضلة بل وبلغ بها التأثر بالكتاب أنها اشترت منه عدة نسخ أهدتها إلى أقرب أصدقائها.

قالت أوبرا: «كان ذلك الكتاب شاغلي وموضوع أحاديثي طيلة عامين !».

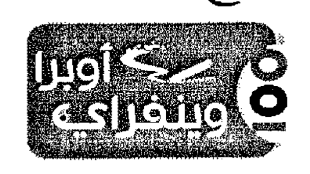
ولم تكن أوبرا المعجبة الوحيدة بـ «**لون البنفسج**»، فقد افتك الكتاب جائزة **البوليتزر (Pulitzer)** للأدب الخيالي، وترجم إلى أكثر من عشرين لغة، كما بيعت منه ملايين النسخ عبر العالم.

وعندما قرأت أوبرا الكتاب للمرة الأولى، شعرت بتناغم كبير بين هويتها وبين «صوفيا»، وهي الشخصية ذاتها التي اختارها جونس لتمثلها أوبرا.

وكانت صوفيا مثل أوبرا، امرأة لا تقبل أن يعبث الشقاء بآمالها، فبالرغم من أنها كانت ضحية قسوة زوجها هاربو (Harpo) **(الذي يقرأ مقلوبه بالانجليزية «أوبرا»)** وظلم المجتمع، إلا أنها كانت ما تزال قوية الشخصية، صريحة في الحق لا تخاف في ذلك لومة لائم، وكانت لا تنفك تشارك غيرها تجاربها الحصيفة.

وبعد مرور أسبوع على عودة كوينسي جونس إلى لوس أنجلوس، بادر إلى الاتصال بأوبرا ليسألها إن كانت ترغب في إجراء تجربة الأداء للحصول على الدور، فحزمت أوبرا حقائبها وطارت إلى استوديو ويست كوست (West Coast)، وهي على أهبة الاستعداد لمواجهة التحدي.

وكانت فلسفتها في الحياة أن «**تستغل الفرصة كلما سنحت**»، وهذا ما أعطاها الدفع والثقة لتخوض المغامرة.



قالت أوبرا: «**أنا أومن بأن مصيرك من صنع يديك ، ما عليك إلا التزود والاستعداد ، فإذا هبت رياحك فاغتنمها..**»

وبعد أن شاهد ستيفن سبيلبرغ تسجيل الاختبار، دعا أوبرا إلى مكتبه وأخبرها أنه أعجب أيما إعجاب بقدراتها التمثيلية، لكنه أعلمها بأنه سيجري اختبارات لعدد من الممثلات قبل أن يخرج بقرار نهائي.

عادت أوبرا إلى شيكاغو وآمالها تسير قبلها، لكنها صبت جهدها على بين يديها من مهام، إذ كانت آنذاك ما تزال منشطة لبرنامج حواري تلفزيوني، وكانت ما تزال تعاني من مشكل البدانة الذي سعت لمعالجته بكل الطرق.

فالتجأت إلى مؤسسة للصحة خصصت لتساعد زبائنها في تخفيض أوزانهم وخضعت هناك لحمية غذائية كخطوة أولى على طريق استعادة رشاقتها ومن ثم تحسين حياتها.

وبينما هي هناك، تلقت اتصالا هاتفيا من مدير تصوير فيلم «**لون البنفسج**» الذي حمل إليها بشرى اختيارها لتمثل دور صوفيا، وقد شرح لها أن مظهرها كان أحد الأسباب التي أهلتها لافتكاك الدور، وأن وزنها كان مثاليا.



أما المخرج، فقد ألح عليها بأن تترك البرنامج الصحي وأن تستعيد ما فقدته من وزن قبل بدء التصوير.



وقد صور الفيلم خلال ثمانية أسابيع من العمل الدؤوب في كارولينا الجنوبية (South Carolina)، وشارك أوبرا البطولة كل من ووبي غولدبرغ (Whopi Goldberg) وداني غلوفر (Danny Glover).

كانت أوبرا الأنسب لتمثيل دور «صوفيا» في فيلم «لون البنفسج».

وفي عام 1985، أميط الستار عن فيلم «لون البنفسج»، فكثرت التعليقات وأدلى كل بدلوه، لكن أوبرا كانت من غير المغضوب عليهم.

> ”فقد كتب دافيد آنسن (David Ansen) في مجلة «نيوزويك (Newsweek)» أن دور أوبرا كان خطوة موفقة، أما في جريدة «فرايتي (Variety)» الأسبوعية المتخصصة لصناعة الترفيه، فذكر النقاد أن أداء أوبرا المتميز كان سر نجاح الفيلم، ووصفوا تجسيدها لشخصية «صوفيا الضخمة» على أنه أنموذج لتمثيل الكبار.“

غير أن «لون البنفسج» أثار على صعيد آخر زوبعة من التضاربات السياسية، فقد انتقد العديد من الصحفيين السود الفيلم بحدة لأنهم أحسوا أن صورة عرقهم مثلت بشكل غاية في السلبية.

كما عبر العديد من رواد السينما عن سخطهم خلال أول عرض للفيلم في لوس أنجلوس، فقد تظاهر العشرات منهم على أعتاب دار العرض رافعين



شعارات منددة، أما في شيكاغو، فقد توافد المئات من السود على كنيسة المجمع التقدمي بغرض الشكوى من الطريقة السلبية التي يصور بها الفيلم عرقهم.

وكان رد أوبرا على موجة الانتقادات تلك بأن أكدت أن الفيلم كان صادقا إلى حد بعيد، وأنه لم يعد أن عكس الواقع المرير.

وخلال مقابلة أجرتها معها صحيفة لوس أنجلوس تايمز (Los Angeles Times) قالت:

« لقد سئمت من سماع من يرددون بأن الفيلم أثار قضايا مسيئة للرجال من السود، لم لا ننظر إليه من زاوية أخرى؟.

لم لا نتحدث عن الاعتداء على الزوجات وعن العنف تجاه المرأة، وعن الاعتداء الجنسي على الأطفال في البيوت؟».

ثم أضافت: «إن أثر الكتاب في وأثر الفيلم في النساء اللواتي اعتدي عليهن جنسيا، يجعلنا نحس أن ثمة من يألم لألمنا ويشاركنا همومنا».



كما رشحت أوبرا للقب أفضل ممثلة ثانوية.

وعندما تلقت الخبر السار كادت تطير فرحا وعبرت عن رضاها الكبير عن أول دور تؤديه بقولها: «**ها قد خطوت الخطوة الأولى على طريق الألف ميل**».



غير أن الفيلم، على الرغم من كل ذلك لم ينل أية جوائز أوسكار!.

ورغم كثرة القلاقل والانتقادات، فقد صنف العديد من الناقدين الفيلم ضمن أفضل عشرة أعمال في الموسم، كما حقق أرباحا معتبرة ورشح لنيل العديد من الجوائز من قبل معاهد فنية متخصصة، من جائزة أحسن الأزياء إلى جائزة أفضل فيلم.

وفي عام 1986، أدت أوبرا دورا ثانويا في فيلم «ابن البلد (**Native Son**)» المستوحاة فكرته من رواية لـ ريتشارد رايت (Richard Wright).

وقد وجه إليه النقد اللاذع بالحدة نفسها التي انتقد بها سابقه، ولم ترشح أوبرا لأية جوائز عن دورها فيه كوالدة للشخصية البطل «بيغر (Bigger)».

حتى ذلك الوقت، بدا كل شيء في حياة أوبرا موفقا وناجحا، حتى على الصعيد العاطفي.



ففي مطلع العام 1986، تعرفت إلى ستادمان غراهام (Stedman Graham)، وكان رجل أعمال طويلا ووسيما، ومؤسس منظمة خيرية للرياضيين المحترفين لمكافحة المخدرات.

وبعد مضي ستة أشهر على لقائهما، كشفت أوبرا لجمهورها ومحبيها أنها مغرمة بالطويل

ستادمان قائلة: «**إن نجاح برنامجي أمر رائع وكذلك فقداني لوزني، لكن لاشيء يضاهي أن تكون عاشقا ولهان**».

لقد كان الحظ والتوفيق حليفي أوبرا ذاك العام، حتى خيل إليها أن لا حد ولا حصر لما يمكنها أن تنجزه.

> وقالت أوبرا: «أريد أن أمتهن التمثيل والصحافة والتنشيط في آن معا، لأني واثقة من قدراتي، ومؤمنة بأني أستطيع أن أفعل كل ما يخطر ببالي».



جائزة البوليتزر

كل عام ابتداء من 1917، كانت جائزة البوليتزر تمنح للإسهامات الفعالة في مجالات الفن والأدب والصحافة.

وتقرر لجنة خاصة الفائزين بالجوائز التي تقدمها كلية الدراسات العليا للصحافة بجامعة كولومبيا (Columbia)، وهي مدرسة عالية المستوى في مدينة نيويورك.

وقد استحدث الجائزة جوزيف بوليتزر (Joseph Pulitzer)، وكان صحفيا أمريكيا من أصول مجرية ورئيس تحرير إحدى الجرائد.

ومن بين المشاهير الذين فازوا بالجائزة: مؤلف الروايات المسرحية تينيسي وليامز (Tennessee Williams)، والشاعر روبرت فروست (Robert Frost) والروائية أليس والكر (Alice Welker)، والرئيس السابق جون ف كينيدي (John F . Kennedy) عن كتابه «لمحات في الشجاعة».

وكثيرا ما يلفظ اسم بوليتزر خطأ، فالطريق الأصوب لنطقه هو بول – إيت – سير pull it sir (أي اسحبه سيدي).


الفصل الثامن
أعمال ضخمة


الفصل الثامن

أعمال ضخمة

لم يسبق أوبرا إلى امتلاك شركة إنتاج في مجال صناعة الترفيه من النساء غير امرأتين، إحداهما كانت ماري بيكفورد (**Mary Pickford**) ممثلة الأفلام الصامتة الشهيرة خلال الثلاثينات من القرن العشرين ، والأخرى كانت الممثلة الكوميدية لوسيا بال(**Lucille Ball**).

وبحلول عام 1986، دخلت أوبرا التاريخ من بابه الواسع حين أصبحت أول امرأة سوداء تمتلك استديو تصوير خاصا بها تنتج فيه الأفلام والبرامج التلفزيونية، وأطلقت عليه اسم «هاربو- **HARPO**» (وهو قلب لاسمها بالانجليزية).

وقد أنفقت وينفراي مبلغ عشرة ملايين دولار لشراء عقار مربع الشكل وسط مدينة شيكاغو اتخذت منه مقرا لشركتها، وكان يضم ثلاثة استوديوهات تصوير كبيرة ومكتبا وقاعات عرض ومطبخا فسيحا.

ولما كانت أوبرا امرأة تعشق العمل المتقن، فقد أنفقت عشرة ملايين أخرى من أجل إعادة تصميم المبنى بما يوافق خصوصية عملها.



وقد استغرق ذلك زمنا طويلا، فلم يفتتح «استوديو هاربو» إلا بعد عامين لتستلم أوبرا على الفور زمام الإخراج والتنفيذ بالشركة.

وقد وجدت أوبرا في شركتها الجديدة سبيلا إلى إشباع شغفها بالكتب، إذ قررت شراء حقوق إعادة إنتاج الأعمال الأدبية، حتى يتسنى لها تحويلها إلى أفلام فيما بعد.

وأول ما اشترت من الكتب كان رواية «**الحبيب**» لمؤلفته **توني موريسون (Tony Morrison)**، كما اشترت كتبا للعديد من الأدباء ذوي الأصول الإفريقية على غرار «العرس» لمؤلفته **دوروثي واست (Dorothy West)** وكتاب «**كانت أعينهم إلى ربها ناظرة**» لـ **زورا نيل هارتسون (Zora Neale Hurston)**.

وقد كانت إمكانيات شركة الإنتاج هذه غير محدودة، وهذا إنما يعود لامتلاك أوبرا ثنائية **المال والخيال الخصب الخلاق**، وكانت تردد دائما:

«**ستتمكن من إنجاز أكبر المشاريع التي طالما حلمنا بها، الأمر يتوقف على حجم إرادتنا فحسب**».

وعلى الرغم من كبر آمال أوبرا في مجال إنتاج الأفلام، إلا أن ذلك لم يصرفها مطلقا عن مواصلة مشوارها التلفزيوني بنجاح في إدارة حلقات برنامجها الحواري، بل وازدادت شعبيتها من خلاله.

وبحلول أيار/ مايو 1987، كانت قد مرت تسعة أشهر منذ بدء عرض البرنامج على الشاشة الوطنية، كما كانت أوبرا المرشحة الأولى للظفر بأول جائزة «**إيمي (Emmy)**» لمقدمة البرنامج الحواري الأكثر نجاحا.

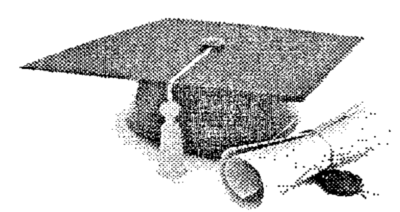


ومثل جائزة الإيمي كمثل الجوائز التي تقدمها المعاهد الفنية المتخصصة، غير أنها تخصص للبرامج التلفزيونية عوضا عن الأفلام.

وفي العام ذاته، حصلت أوبرا على جائزتي «**إيمي**»، إحداهما عن **البرنامج الحواري الأكثر نجاحا، والأخرى عن أحسن مديرة لبرامج حواري**.

إلى جانب ذلك، كانت أوبرا على وشك الظفر بتكريم آخر، هو شهادة تخرجها من الجامعة، فقد رأت أن أوان إتمام ما لم تسنح الفرصة بتمامه قد حل فعاودت التسجيل بجامعة ولاية تينيسي وأنهت مشروع تخرجها، لتحصل أخيرا على شهادة التخرج.

وقد طلبت إدارة الجامعة من أوبرا أن تلقي كلمة الافتتاح في حفل التخرج عندما تستلم شهادتها إلى جانب طلبة دفعة 1987.



أعلنت أوبرا في كلمتها أنها ستهب الجامعة عشر منح دراسية على شرف والدها **فرنون وينفراي**، الذي



لم تنس فضله عليها وكيف كان حريصا على أن تهتم بطلب العلم، وكيف كان يلهمها روح الجد والمثابرة في دروسها.

وقد قدرت قيمة كل منحة بـ 77 ألف دولار، ومنحت على أسس من التفوق الدراسي والحاجة المالية، وكان يتوجب على كل مستفيد منها أن يحصل على درجة الجيد كأقل تقدير.

كما ظلت أوبرا تساهم بمبلغ 25 ألف دولار سنويا لفائدة صندوق ميزانية الجامعة.

وما كان سخاء أوبرا على تلك الصورة إلا لأنها وفقت في اتخاذ قراراتها المالية.

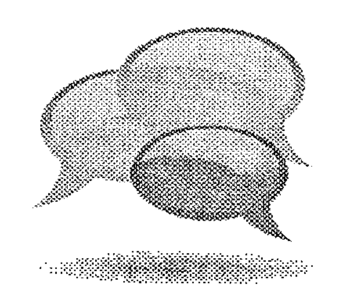
ففي عام 1988، أي بعد مرور سنة فقط على افتتاح مؤسسة هاربو، تمكنت من شراء حقوق بث برنامجها الحواري من شاشة ABC.

فلم تعد مضطرة إلى استشارة أحد فيما تقرره بشأن برنامجها، بل وأصبحت تنتج برنامجها في استوديوهاتها الخاصة.. لقد أصبحت الآن مديرة نفسها..

ومع أنها اشتهرت بقيادتها الرشيدة والسخية لفريق عملها، إلا أنها عرفت كذلك بأنها تعتمد بشكل كبير على مهارة موظفيها.

ولعل هذه الثنائية (**من التحكم في زمام الأمور من جهة، وترك الحرية لموظفيها من جهة أخرى**) هي ما جعلها قائدة متميزة في عيون فريقها.





فقد قال دان سانتو (**Dan Santow**) الذي كان منتجا سابقا بالبرنامج: «**الناس يعشقون أوبرا**».

وقالت منتجة أخرى بالبرنامج اسمها **ماري كاي كلينتون (Mary Kay Clinton)**: «**كانوا مستعدين لبذل أرواحهم فداء لها، وأنا كذلك كنت على استعداد لأفديها بروحي**».

وفي عام 1988، خصت أوبرا بلقب «**صحفية الموسم**» التي تمنحه هيئة الراديو والتلفزيون الدوليين، لتكون بذلك أصغر وجه إعلامي يفوز بتلك الجائزة الرفيعة في تاريخ الهيئة.

ثم باشرت أوبرا بدعم من فريقها المجد العمل على مشروع جديد، وجهت خلاله أنظارها صوب كتاب عنوانه «**نساء ساحة بروستر**» لمؤلفته **غلوريا نايلور (Gloria Naylor)**.

ويحكي الكتاب قصة سبع نساء من السود يعشن في مبنى متواضع في شارع بروستر (Brewster)، الواقع في مدينة وهمية بالشمال.

ولعل أحد الأسباب التي شدت أوبرا للرواية كان تصويرها الواقعي لحياة السود، إذ يجسد الفيلم علاقات الجوار المثالية بينهم في ذلك المكان، حيث كانوا إلى جانب اهتمامهم بأسرهم وأملاكهم وأعمالهم، دائمي السؤال عن أحوال جيرانهم.

وقد أدركت أوبرا أن البيض جاهلون بوجود مثل تلك العلاقات بالفعل



على أرض الواقع، فقالت: «**من فضائل امتلاك شركة إنتاج خاصة أن تتمكن من إثبات أن ذلك أمر من صميم الواقع**».

وبدأ العمل على إنتاج الفيلم في نيسان/ أبريل 1988، لينطلق عرضه في العام الموالي في شكل سلسلة من أربعة أجزاء على شاشة ABC.

وقد أدت أوبرا دورها البطولي الأول بتجسيدها شخصية **ماتي مايكل (Matie Michael)**، إحدى النسوة السبع، إلى جانب نجمتين أخريين هما **سيسيلي تايسون (Cicely Tyson)**، **و روبن غيفنز (Robin Givens)**.

وعلى الرغم من تضارب الآراء حول الفيلم، إلى أنه اجتذب جمهورا معتبرا، ولعل شهرة وينفراي كانت السبب الأهم في ذلك، فقد أراد محبو أوبرا اكتشافها ممثلة إلى جانب احترافها التنشيط.

وينفراي في وسط الصورة مع فريق الممثلات في فيلم «**نساء ساحة بروستر**».

ولما لاحظ المسؤولون بقناة ABC تزايد عدد مشاهدي الفيلم، وقعوا مع شركة هاربو عقدا بإنتاج ثلاث عشرة حلقة إضافية منه، تنسج كل منها على منوال الأجزاء الأربع الأصلية.

لكن المشروع مني بالفشل بعد أن وجهت إليه انتقادات لاذعة وصفته بالممل، وتكبدت هاربو تبعا لذلك خسائر مالية فادحة قدرت بعشرة ملايين دولار، فضلا عن الجهود المضنية التي بذلت في سبيل إنتاجه، فألغت القناة عرضه بعد بث أربع حلقات فقط.

ورغم أن ذلك الفشل كان مخيبا للآمال إلا أنه لم يفقد أوبرا عزمها أبدا، بل إنها كانت تنظر إليه نظرة فلسفية إيجابية قائلة: **بأن المهم هو المحاولة بغض النظر عن النتيجة سواء أكانت نجاحا أم فشلا.**

وبعد فترة ليست بالطويلة، تعاقدت شركة هاربو للإنتاج مجددا مع شاشة ABC لإنتاج أربعة أفلام تلفزيونية، مثلت أوبرا دور البطولة في اثنين منها.

وكان الطعام حتى ذلك الوقت ما يزال هاجسا بالنسبة لأوبرا، فخضعت إلى حمية قاسية فقدت خلالها من الوزن ما جعل مقاس ثيابها يتقلص إلى10.



وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1988، ظهرت أمام جمهور برنامجها بشكلها الجديد، وهي تجر عربة حمراء ملئت بسبعة وستين باوندا (30كيلوغراما) من الشحوم الحيوانية.

وقد صفق لها جمع الحضور بحرارة، إلا أنها استعادت بعد أشهر قليلة ما فقدته من وزن وزيادة.



وقد ظل تراوح وزنها بين الزيادة والنقصان موضوع العناوين القاسية لصحف التابلويد لسنوات عديدة لاحقة.

وقد توسعت جهود أوبرا المؤسساتية لتشمل عدة مناطق أخرى.

ففي العام 1989، وزيادة على الافتتاح الرسمي لشركة هاربو للإنتاج بعد انتهاء التعديلات، افتتحت أوبرا أيضا مطعما في شيكاغو، أطلقت عليه اسم «**إيكسانتريك** (**the Eccentric**)» (أي الفريد في نوعه).

وكان شريكها فيه مالك مطاعم محترف يدعى **ريتشارد ميلمان** (**Richard Melman**)، لكن المطعم الذي كان في وقت ما من أشهر المناطق في شيكاغو لم يعد الآن في الخدمة.

وكان الإيكسانتريك بتصميمه المميز فريدا في نوعه بحق، فقد كان مقسما إلى عدة أجنحة يختص كل منها بفنون الطبخ في إحدى دول العالم.

وقد استمر نجاح أوبرا خلال العام 1989 في مجالات أخرى عديدة، إذ منحها معهد مورهاوس في **أطلنطا بجيورجيا** (**Atlanta Georgia**) درجة الدكتوراه الفخرية.

ونتيجة إعجابها بالمناهج العلمية للجامعة، أنشأت أوبرا «**صندوق أوبرا وينفراي**» للمنح الدراسية، من أجل إعانة الطلبة المتميزين والمحتاجين إلى عون مالي في تسديد مستحقات الدراسة.



وقد وهبت أوبرا صندوقها مبلغ مليون دولار كفاتحة للتبرعات.

وكانت خاتمة العام 1989 حزنا وأسى عصرا قلب وينفراي عندما بلغها نعي أخيها جيفري لي، الذي مات جراء داء الإيدز، وكان ذلك قبل ثلاثة أيام فقط من عيد رأس السنة.

وقد أدلت أوبرا للصحافة بكلمة قالت فيها:

> «عائلتي وعلى غرار آلاف العائلات في العالم لا يدمي فؤادها موت أحد أفرادها في ربيع العمر فحسب، لكنها تنعى أحلاما قبرت وآمالا وئدت وانجازات لم يكتب لها أن ترى النور بسبب الإيدز».






الفصل التاسع
قضايا شائكة


الفصل
التاسع

قضايا شائكة

كان مطلع العام 1990 منعرجا حاسما في مسار برنامج أوبرا الحواري.

فخلال تسجيلها إحدى حلقاته، كانت تحاور سيدة تعرضت للاعتداء الجنسي في فترة طفولتها، فتراءت لناظريها فجأة المشاهد المأساوية لتجارب سنينها الخالية، فكشفت لجمهورها في كل أنحاء العالم والحزن يلفها والدموع تملأ عينيها عن مأساة الاعتداء على براءة طفولتها.



وكان ذلك نقطة تحول في حياة أوبرا، فقد حاولت لسنوات عديدة أن تخفي عن جمهورها ماضيها الأسود.

لكنها أدركت آنذاك أن كشفها قصة حياتها الشخصية، قد يساعد الصغار من الضحايا ويشجعهم على الحديث عن تجاربهم الشخصية، وكانت تأمل أن تتمكن من وضع حد لمعاناتهم، **فقالت:**

«إن جزء من رسالتي في الحياة الآن هو تشجيع كل طفل تعرض للاعتداء على الإفصاح بذلك.. تكلم، وإذا لم يصدقوك فاستمر بالحديث إلى أن يعيرك أحدهم أذنا صاغية».

ومنذ ذاك الوقت فصاعدا، بدأت وينفراي في استعمال نفوذها لمساعدة ضحايا الاعتداء من الأطفال.

وبعد مرور عام على نشاطها، وبالضبط في الفاتح من تشرين الثاني/ نوفمبر 1991، تنقلت أوبرا إلى العاصمة واشنطن، ووقفت أمام أعضاء من اللجنة القضائية لمجلس الشيوخ الأمريكي واستعرضت أمامهم فصول قصتها المأساوية التي اصطبغت بها سنين طفولتها.

وقد أرادت أن تدعم إقرار القانون الوطني لحماية الطفولة قائلة: «**عندما تتعرض لاعتداء جنسي فإنك تفقد معنى طفولتك**».

وتعني الموافقة على إقرار القانون أن تخضع قوائم ذوي السوابق العدلية إلى مراجعة دقيقة للتأكد من عدم تورط من كانوا يشغلون الأطفال منهم في قضايا الاعتداء الجنسي على الأطفال.

غير أن القانون لم يحظ بالموافقة إلا بعد عامين، ففي كانون الأول/ ديسمبر 1993، وافق **الرئيس بيل كلينتون (Bill Clinton)** على ضم مادة حماية الطفولة - والتي عرفت بـ: «**مادة أوبرا**»- إلى القانون الأمريكي، ووقفت أوبرا إلى جانب الرئيس خلال مراسم التوقيع التاريخي في البيت الأبيض.

وقد استمر تركيز أوبرا جهودها على الأطفال، فباشرت شركتها عام 1991 إنتاج حصص خاصة تناولت قضايا المراهقين كالمخدرات وتقدير الذات وكانت

تعرض بعد دوام المدرسة على قناة ABC، كما أنتجت فيلما كان عنوانه: «**الصمت المرعوب: الاعتداء على الأطفال بين الواقع والحلول**»، وكان يعرض مساء.

ولما كان هذا المشروع عاكسا لتجربة أوبرا الشخصية، فقد قدمته بنفسها قائلة: «**أنا أوبرا وينفراي، وأعيش - كملايين الأمريكيين - على آثار الاعتداء الجنسي**».

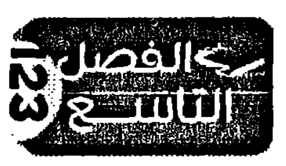
وفي الوقت ذاته، كانت أوبرا ما تزال تخوض معركتها مع البدانة، ففي اليوم الذي استلمت فيه جائزة الإيمي عن أحسن منشطة برنامج حواري للمرة الثالثة على التوالي في عام 1992، كانت قد بلغت أعلى وزن لها 237 باوندا (115 كيلوغراما).

وعبرت عن شعورها بالخزي بدل السعادة أثناء حفل تكريمها قائلة:

«أحسست بأني إنسانة فاشلة توشك أن تفقد زمام السيطرة على حياتها.. كنت أضخم امرأة في القاعة».

وتبعا لذلك، كان لزاما عليها أن تثور على عادة الإفراط في الأكل مرة أخرى فانضمت بعد احتفالية الإيمي مباشرة إلى برنامج لخفض الوزن في **تالوريد بولاية كولورادو (Telluride Colorado)**.

وهناك تعرفت إلى **بوب غرين (Bob Greene)** الذي أصبح فيما بعد مدربها الشخصي، وكان أول شخص يساعدها في العثور على حلقة الوصل بين مشاعرها والأكل.



وقد تعلمت منه أوبرا أن تتحكم في نفسها، فبدل أن تبحث عن الطعام كلما شعرت بالغضب أو بالخوف أو التوتر، كان عليها أن تردد قولها: «**أنا لن آكل**» إلى أن تشعر بالارتياح.

وبحلول العام 1993، استطاعت أن تخفض وزنها إلى ما دون 150 باوندا (70 كيلو غراما).

وقد ظل غرين دليل أوبرا وقائدها نحو عالم الرشاقة واللياقة البدنية، وما تزال إلى الآن مدينة له بالكثير.

فقد كان لها ناصحا وملهما، كما شاركها في تأليف أكثر الكتب رواجا على غرار كتاب: «**اعثر على حلقة الوصل: عشر خطوات من أجل جسد أفضل وحياة أفضل**».

والذي بيع منه أكثر من مليوني نسخة، وقد استغل غرين روح أوبرا التنافسية كسبيل آخر تربط فيه بين مشاعرها وجسدها.

وبفضل إرشاداته وتشجيعه، استطاعت أوبرا أن ترفع معدل ممارستها الجري إلى ثمانية أميال في اليوم.

تقول أوبرا: «**عندما كان بوب يريد أن يدفعني إلى الجري بسرعة أكبر، كان يقول: أترين المرأة التي ترتدي البدلة الزهرية؟ بإمكانك اللحاق بها، عندها كنت أبذل كل ما في وسعي لأتجاوزها**».



وكانت أوبرا تشعر بالإيجابية والقوة يصبغان حياتها أكثر فأكثر، فلما طلب ستادمان غراهام يدها للزواج في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1992، وافقت بل وحددا معا شهر أيلول/ سبتمبر الموالي موعدا لزفافهما.

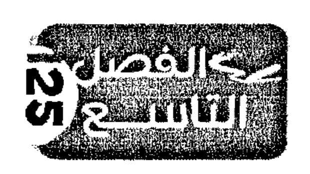
ولم يكن مشروع زواجهما الشيء الوحيد الذي جمعهما، ففي غضون الفترة ذاتها، مثلت أوبرا دور **لاجو ريفرز (LaJoe Rivers)** في فيلم «**لاوجود لأطفال هنا**»، وهو فيلم من إنتاج قناة ABC، يتحدث عن الحياة في مشروع شيكاغو السكني.

وقد وهبت أوبرا كل ما جنته من أرباح من عائدات الفيلم لدعم مشروع خيري كان يسمى «**حياة أفضل لفائدة العائلات**»، شارك خطيبها غراهام ستادمان في تأسيسه، وبلغ ما تبرعت به 500 ألف دولار.

وفي السنة ذاتها، أفصحت أوبرا عن نيتها في كتابة سيرتها الذاتية بمساعدة الكاتبة **جوان بارتل (Joan Barthel)**، وقد انتظره محبوها بصبر نافد، غير أنها خيبت آمالهم عندما ألغت المشروع العام 1993، شارحة الأسباب بقولها:

> **«ما أزال أتعلم من بحر الحياة الزاخر، وأشعر أنه بقي أمامي الكثير لأنجزه».**

وعوضا من سيرتها الذاتية، عملت أوبرا على تأليف كتاب طبخ ذي وصفات قليلة الدهون، شاركتها فيه طباختها الشخصية **روزي دالاي (Rosie Daley)** كان عنوانه «**وصفات أوبرا المفضلة من مطبخ روزي**».



وقد روجت أوبرا للكتاب الذي نشر عام 1994 في برنامجها الحواري وسرعان ما أصبح هذا الكتاب الأعلى مبيعا، وحقق رواجا منقطع النظير فبيعت منه في السنوات الأربع الأولى ستة ملايين نسخة.

وكانت أوبرا حتى ذلك الوقت ما تزال على عهدها مع ستادمان، لكن لم يمض من الوقت الكثير حتى ألغت مخططات زواجهما جميعها، فضربت وسائل الإعلام الأخماس بأسداس، وتضاربت آراؤها حول سبب إلغاء زيجتها.

وقد شرحت أوبرا أسباب ذلك فقالت:

« كنت أحس في وقت مضى بالحاجة للزواج حتى أثبت ذاتي، لكنني الآن راضية عن نفسي بما أنجزته، أما بالنسبة لستادمان فأنا في غاية الأسف لأنني طالما رددت اسمه على مسمع من الصحافة ووسائل الإعلام، ولو لم أفعل لما أثار إلغاء زواجنا ذلك الزخم الإعلامي كله».

كما أعلمت أوبرا جماهيرها بقرارها عدم إنجاب الأولاد، لأنها لم ترد أن يتكرر ما ارتكبته أمها من أخطاء في حق طفولتها.

وفي حديث لها عن الأمومة قالت: **«لطالما أحسست أنه ليس بمقدوري أن أكون أما لأني لست أعلم إلى ذلك سبيلا»**.

وفي العام ذاته (1994)، ضم اسم أوبرا إلى أسماء ساحة المشاهير في أكاديمية فنون التلفزيون وعلومه، وهو أعلى تشريف يمكن أن يحظى به محاور تلفزيوني



لكن أوبرا رفضت العرض بادي الرأي، لأنها أحست أنه يوجد من يستحق ذاك التكريم أكثر مما تستحقه هي، ثم بدا لها فيها بعد أن تقبله بصدر رحب، ليكون أكثر الجوائز تشريفا في حياتها.

وبنهاية الموسم 1994 من برنامجها الحواري، اهتدت أوبرا إلى قرار مهم بشأنه، فقد لاحظت أن الشاشة كانت تعرض كوكبة من البرامج الحوارية، لكن أغلبها - بما فيها برامج أوبرا - كان كثيرا ما يصب تركيزه على مواضيع عاطفية تافهة.

فحاولت أن ترتقي بمستوى برنامجها رغم علمها أنه إنما كان يعكس نوازع شخصها.

قالت أوبرا: «**يزعجني البون الشاسع بين مواضيع البرامج والواقع، وأعترف بأن لي يدا في ذلك. يجب ألا يكون الناس عرضة للمفاجأة والإهانة لأجل إنجاح برامج التسلية فيها، أنا فعلا أشعر بالخزي لذلك**».

ومن ثم وعدت بأن ترتقي بأداء برنامجها، من طريق عرض نماذج أكثر إيجابية تعزز الروح الإنسانية.

وسعيا منها لمساعدة النساء الأخريات في تحسين أوضاعهن، تبرعت عام 1995 بمبلغ مليون دولار لفائدة **معهد سبيلمان (Spelman College)** في أطلنطا بجيورجيا، وهي مدرسة يقصدها النساء السود.



وقد وجهت أوبرا المبلغ ليستغل في أغراض علمية، يأتي في مقدمتها تمويل أبحاث في الجيولوجيا البيئية والكيمياء.

كما مولت معهد التربية في مورهاوس (Morehouse College)، والذي يدرس فيه ألف طالب من السود بمبلغ 12 مليون دولار.

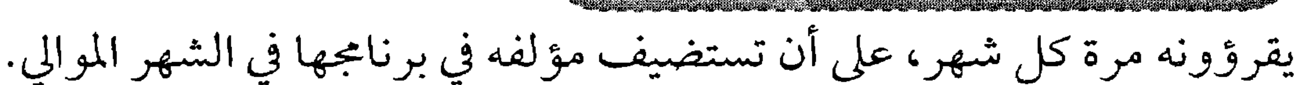
وقد ساعدت تبرعات أوبرا الناس على تحقيق مستوى علمي أرقى، غير أن نجاح برنامجها الباهر كان له هو الآخر كبير الأثر في تنوير عقول متفرجيه، إذ كان ينتقي درر الثقافة والأدب ليضعها في متناول المتفرجين وهم في منازلهم.

كانت أوبرا مولعة بالقراءة، وكان جمهورها يتهافت على شراء كل كتاب تثني عليه.

وما هذه إلا بعض الأمثلة عن أول ما اختارت من الكتب.

ففي أيلول/ سبتمبر 1996، ترجمت أوبرا حبها للقراءة في شكل اتفاق عقدته مع جمهورها على الهواء بغرض تشجيعهم على القراءة، فقدمت إليهم مشروع قراءة مجموعة من الكتب سمته «**نادي أوبرا للكتاب**».

وكانت تختار لجمهورها كتابا



يقرؤونه مرة كل شهر، على أن تستضيف مؤلفه في برنامجها في الشهر الموالي.

وكان أول ما اختارت من الكتب «**غيابات المحيط**» لمؤلفته **جالكين ميتشارد**

(**Jackelyn Michard**)، والذي يروي مأساة اختفاء طفل وفاجعة أهله بفقده.

وقد حقق نادي أوبرا للكتاب نجاحا منقطع النظير، وكانت الكتب التي تختارها أوبرا تلقى رواجا كبيرا وتحقق أرباحا طائلة، بل وأصبح الحديث عن الكتب شاغل الناس في المدن وفي القرى في طول البلاد وعرضها، فبدأ الناس بتشكيل مكتباتهم الخاصة.

ناقشت أوبرا في برنامجها كذلك موضوعا آخر أحدث ضجة كبيرة، لم يبالغ الإعلام في وصفها هذه المرة.

ففي عام 1966، علم الناس للمرة الأولى عن مرض جنون البقر أنه مرض نادر ينقل من طريق العدوى من الأبقار المصابة.

ولم يعثر على الأبقار المريضة في ذلك الوقت إلا في انجلترا، ثم جمعت في قطيع واحد وذبحت للحد من استشراء الداء.

غير أن أوبرا دعت في أحد الأيام إلى برنامجها ضيفا كان يتحدث عن المشكل عندما بادرته قائلة: «**كلامك يمنعني من أكل شطيرة لحم أخرى بعد الآن !!**»

وقد أحدثت عبارة أوبرا تلك موجة من الهرج والمرج، حاولت أوبرا السيطرة عليها فاستضافت د.غاري ويبر (Dr Gary Weber)، عضو الجمعية الوطنية لمربي الأبقار ومنتجي لحومها، وكوني غريغ (Connie Greig) مالك مزرعة



«إيوا (Iowa)»، الذين حاولا طمأنة الناس بأن إنتاج لحوم الأبقار آمن في بلادهم، لكنهما عبثا كانا يحاولان..

وقد غضب مربو الأبقار بتكساس (Texas) غضبا شديدا وحملوا أوبرا مسؤولية إثارة الهلع بين الناس الذين توقفوا نهائيا عن شراء اللحوم، فرفعوا ضدها دعوى قضائية طالبوها فيها بدفع مبلغ 12 مليون دولار تعويضا عن الخسائر التي سببتها.

فكان لزاما على أوبرا أن تمثل أمام الغرفة القضائية بتكساس لتفنيد التهم الموجهة إليها، فقد رأت أن ذلك تقييد لحريتها في التعبير وقالت:

«أتيت من مجتمع كابد صنوف العذاب، ودفع حياته ثمنا للكلمة حق يصدع بها، لذلك لا أقبل أن يلجمني أحد».

وخلال الأشهر التي جرت فيها المحاكمة، نقلت أوبرا مركز إنتاج برنامجها إلى تكساس، حيث عمل فريقها بجد لإنتاج حلقات صورت نمط الحياة وأسلوب العيش في هذه المنطقة، كما استضافت بعضا من الوجوه الشهيرة في تكساس على غرار الممثل باتريك سوايز **(Patrick Swayze)** والمطرب الشعبي كلينت بلاك **(Clint Black)**.

وفي نهاية المطاف، برئت أوبرا من تهمة التسبب في انهيار سوق اللحوم فقالت





وهي تخرج من دار العدل والدموع تنهمر من عينيها فرحا: «**أجل.. الحق إذا قذف على الباطل لا يغلبه فحسب، بل يدمغه**».

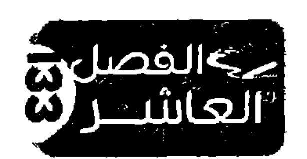
وعندما وضعت حرب اللحوم أوزارها عادت أوبرا إلى شيكاغو بعزم كبير وهي تنوي أن تطلق العنان لقدراتها في اتجاهات أخرى.





الفصل العاشر

أوبرا في ذروة العطاء



أوبرا في ذروة العطاء

خططت أوبرا لإنجاز مشاريع جديدة، فكان أن عملت على تشجيع جمهورها على التبرع لصالح الأعمال الخيرية، وأعلنت في 18 أيلول/ سبتمبر 1997 عن إنشاء ما سمته «**شبكة أوبرا الملائكية**»، مختصرة أمام جمهورها في جميع أنحاء الوطن بذلك طريق المشاركة في أعمال جديرة بالدعم، من طريق إرسال ما يزيد عن حاجتهم من مال إلى صندوق أطلقت عليه اسم «**الحصالة الكبرى في العالم**» وكان يجمع فيه تبرعات الجماهير من قطع نقدية ودولارات وصكوك مصرفية.

وقد اقتطعت منه أوبرا ميزانية اتخذت منها منحا دراسية لمساعدة الطلبة المحتاجين في تسديد تكاليف الدراسة.

وفي العام الأول لإنشائها، جمعت الشبكة قرابة ثلاثة ملايين دولار، وبحلول تشرين الأول/ أكتوبر 2004، بلغ ما جمعته من مال عشرين مليون دولار من أكثر من مائة تبرع.

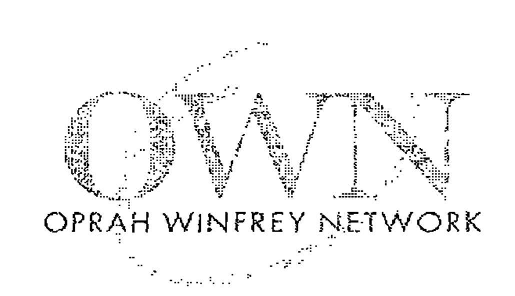
وكان من أوائل ما مولته الشبكة من مشاريع منظمة «**سكنات لفائدة الإنسانية**» التي ذاع صيتها بعد أن جاد عليها الرئيس السابق جيمي كارتر (**Jimmy Carter**) وحرمه روزالين (**Rosalynn**) بشيء من وقتهما للمساعدة في بناء



منازل لفائدة العوائل ذوات الدخل المتدني، وكانت هذه المنظمة تمنح العائلات قروضا دون فوائد يسددونها بالمشاركة في بناء بيوتهم المستقبلية.

أما هدف أوبرا فكان بناء مائتي منزل عبر الوطن، وقد تبرعت بمبلغ 55 ألف دولار كدفعة أولى، كما شجعت رجال الأعمال والمشاهدين على المشاركة في دعمه.

وكان الناس على بصيرة تامة بجهود أوبرا في مساعدة الغير.



وفي سبر للآراء نظم في غضون الفترة ذاتها التي أسست فيها **«شبكة أوبرا للملائكة»** - ونقل ذلك في **يو أس نيوز آند وورلد روبورت (US News and World Report)** - احتلت أوبرا المرتبة الثانية بعد **الأم تيريزا (Teresa)** حين سئل الناس عن الشخص الذي يرونه أهلا لدخول الفردوس.

وقد كان ذلك شرفا عظيما، لأن الأم تيريزا المتوفاة في العام 1997، كانت من أشهر الراهبات الكاثوليك في العالم، وكانت تعمل على مساعدة فقراء كالكوتا (Calcutta) في الهند، وفازت بجائزة نوبل للسلام وقد طوبها البابا يوحنا بول الثاني (John Paul II) قديسة، أي أعطاها شرف القداسة العظيم.



وقد نالت أوبرا الإعجاب نظير تكريس نفسها لفعل الخير، لكنها ظلت إلى جانب ذلك راسخة الولاء لمصالح عملها، وهذا ما مكنها من الإنفاق بسخاء على ما آمنت به من مشاريع.

وحسب مقال نشرته مجلة فوربس[1] (Forbes) الشهيرة المتخصصة في الأعمال في العام 1998، صنفت أوبرا واحدة من أغنى النساء في عالم صناعة الترفيه، وقد قدر محررو المقال دخل أوبرا السنوي آنذاك بـ 125 مليون دولار ليصل بحلول العام 2003 إلى مليار دولار.

وكانت أوبرا بذلك أول امرأة سوداء تسجل على صفحات الفوربس السنوية للأثرياء.

وفي العام ذاته الذي بلغت فيه شبكة الملائك ذروة نجاحها، أنهت أوبرا العمل على فيلم استغرق إنتاجه قرابة عشرية كاملة كان عنوانه: «الحبيب» وكانت أحداثه مستقاة من رواية حملت الاسم ذاته وفازت بجائزة البوليتزر لمؤلفتها توني موريسون (**Tony Morrison**)، التي كانت كاتبة سوداء وشاعرة وإحدى مثل أوبرا العليا.

ومنذ أول مرة قرأت أوبرا فيها الكتاب، أدركت أنه أحسن ما يمكن أن ينتج

---

1. فوربس Forbes : هي شركة نشر ووسائل إعلام أمريكية، أبرز منشوراتها هي مجلة فوربس الشهرية التي تعد أكثر القوائم شهرة في العالم وتعنى في الدرجة الأولى بإحصاء الثروات ومراقبة نمو المؤسسات والشركات المالية حول العالم.

وأهم ما تقوم به توفير المعلومات المالية والاقتصادية وتقوم كل عام برصد وإحصاء أرصدة أغنياء العالم.

تمتلك فوربس 7 نسخ بلغات مختلفة منها نسخة عربية كانت تصدر باسم "فوربس العربية"، مدير تحريرها اللبناني رفعت جعفر وسكرتير التحرير الأردنية خلود العميان، قبل أن يتوقف إصدارها في أبريل 2009. «المترجم»

فيلما، وقالت: «**لقد شغفني «الحبيب» حبا، إنه الحلم الذي انتظرت حياتي كلها لأحققه»**.

وقد أخرج الفيلم **جوناثون ديم (Jonathan Demme)**، ولعبت فيه أوبرا دور **سيث (Sethe)**، التي كانت أمة فرت من مزرعة سويت هاوم (Sweet Home) في العام 1837، تاركة خلفها ابنتها التي لم تفارقها صورتها مذ غادرتها، ثم تلتقي بعبد كان يعمل معها في المزرعة يسمى بول. د **(Paul.D)** الذي أدى دوره الممثل **داني غلوفر (Danny Glover)**.

وقد وجدت أوبرا أن العمل في الفيلم عن العبيد كان أمرا مثيرا للمشاعر لأنك عوضا عن الاكتفاء بتخيل حياتك عبدا، تبدأ في تجريب ذلك على أرض الواقع.

> قالت أوبرا: «بإمكانك أن تقول الكثير عن الموضوع أثناء نقاش على مستوى عال من الثقافة. لكن خلال ممارستي ذلك لأول مرة في فيلم «الحبيب» لمست الحقيقة كما كانت على أرض الواقع».

وقد أحبت أوبرا الفيلم وتعلقت به تعلقا شديدا، وتلقى دورها فيه مدحا كثيرا.

ووصف أحد النقاد من مجلة رولينغ ستون (Rolling Stone) المختصة بالموسيقى تجسيد أوبرا لـ سيث بأنه كان مثاليا جدا.

وعلى الرغم من كل ما نسب إلى أداء وينفراي من الإطراء، إلا أن الفيلم



لم يكن يبلي حسنا في شبابيك التذاكر، وقد عزا بعض النقاد إعراض الناس عن مشاهدته إلى كون موضوعه - العبودية - موضوعا مثيرا للشجون، صعب على الجمهور التفاعل معه.

شعرت أوبرا بخيبة الأمل، لكن ذلك لم يحبط عزيمتها، بل إنها وجهت طاقاتها لمشروع آخر عملت من خلاله على تغيير مسار برنامجها الحواري.

فمع انطلاقة الموسم التلفزيوني 1998، خطت بالبرنامج خطوة جديدة سمتها «**غير حياتك مع التلفزة**».

ومنذ ذلك الوقت، سخرت أوبرا كل جهودها من أجل مساعدة جمهورها في تغيير إيجابي لحياتهم.

وفي شهر أيلول/ سبتمبر 1999، اشتركت أوبرا مع صديقها ستادمان غراهام في تقديم دروس حول مهارات القيادة في مدرسة في جي - أل كيلوغ العليا التابعة للجامعة الشمالية الغربية نورث واسترن (J. L. Kellogg Northwestern University).

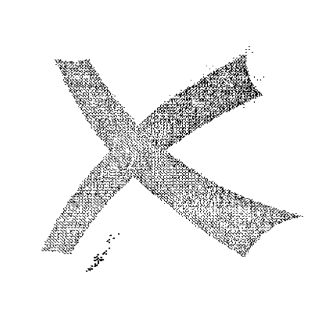
وكانت الدروس تقدم ليلة كل أسبوع لمدة عشرة أسابيع، يتعلم فيها الطلبة أساليب تطوير مهاراتهم القيادية و الإدارية، وقد حضر الدروس كما كان من



المتوقع، عدد كبير من الطلبة، لذلك تقرر تقديمها مجددا الخريف المقبل.

وقد قال ريتش هوناك (**Rich Honack**) مساعد مدير المدرسة أن الطلبة شهدوا لأوبرا بأنها كانت من أقوى الأساتذة وأكثرهم كفاية على الإطلاق، غير أن أوبرا انتقدت نفسها بدرجة أحد فقالت:

«أعطيت نفسي درجة الجيد لا غير، لكني سأسعى للحصول على الممتاز لأني أعرف الآن حق المعرفة كيف أحصل عليها».



وفي الوقت ذاته، استمرت صحف التابلويد في ملاحقة أوبرا وستادمان بقصة زواجهما، وهو ما دفع أوبرا إلى الجزم قائلة: **«لا أنا ولا ستادمان مستعدان للزواج»**.

أما الأمر الذي كانت على أوبرا دائمة الاستعداد له فهو اقتراح كتاب جديد لجمهورها.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1999، حصلت أوبرا على الميدالية الذهبية بمناسبة خمسينية إنشاء مؤسسة الكتاب، التي كرست أوبرا نفسها من خلالها لتوعية ملايين الناس بضرورة القراءة.

وبعد عامين، عقدت أوبرا اتفاقا آخر

وحدت فيه جهودها مع رائدات الإعلام: جيرالدين لايبورن (**Geraldine Laybourne**)، ومديرات شركة كارسي وارنر مانداباك (**-Carsey Werner-Mandabach**)، من أجل إنشاء موقع خاص بالنساء على الانترنت أطلقت عليه اسم «أوكسجين (**Oxygen**)»، وقد تم اطلاقه في شباط/ فبراير 2000، ووصل على الفور بموقع أوبرا الشهير

http://www.oprah.com

وكان البرنامج المعنون «**أوبرا على الخط مباشرة**» أول برنامج أنتجته أوبرا خصيصا لشبكة الأكسجين، وكان عبارة عن سلسلة من 12 جزءا يمكن من اكتشاف عوالم الشبكة العنكبوتية خطوة خطوة.

وقد شاركت صديقة أوبرا الحميمة غايل كينغ في تنشيط البرنامج الذي انضمت إليه ملايين النساء من كافة ربوع الوطن، وتعلمن مبادئ استخدام الشبكة و تقنيات الإبحار فيها.

ولم تقف أوبرا عند هذا الحد، فقد كان غرة الألفية الثالثة عاما خالد الذكر.





مساكن لخير الإنسانية

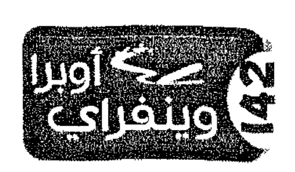
في عام 1976، أسس كل من المليونيرين ميلارد و ليندا فولر منظمة «مساكن لخير الإنسانية»، وهي منظمة مسيحية غير ربحية.

وكان هدف هذه الوكالة الدولية بناء مساكن قليلة التكاليف لكنها لائقة لفائدة من لا مأوى لهم.

وقد تم بناء كل السكنات من تبرعات المتطوعين، وقد بيعت بلا فوائد، وفي حالة ما إذا كانت القروض العقارية ضرورية، لم تكن تفرض على المستفيدين أية تكاليف.

وبحلول عام 2003، كانت المنظمة قد بنت ما يزيد عن 100 ألف بيت في 92 دولة.

وفي العام 2005، مولت المنظمة مشاريع إسكان أكثر من مليون شخص عبر العالم، وكان على أصحاب البيوت العمل 500 ساعة في بناء بيوتهم أو في أي مشروع آخر تموله المنظمة.





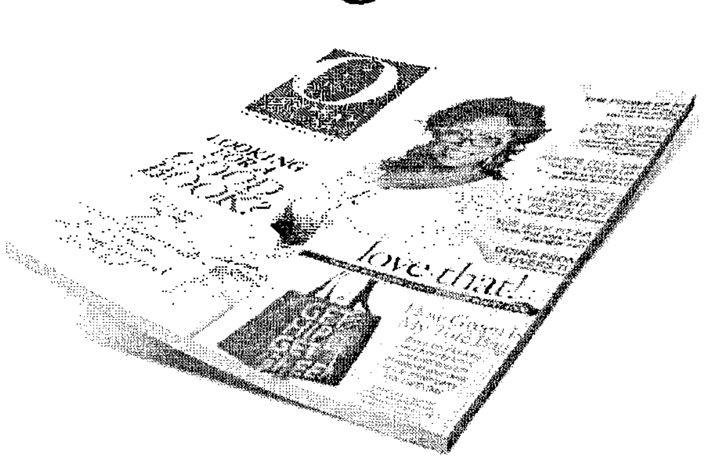
الفصل الحادي عشر

نحو آفاق أوسع



نحو آفاق أوسع

في شهر نيسان/ أبريل 2000، أعطت أوبرا إشارة البدء في إصدار المجلة الأكثر نجاحا في تاريخ النشر.



وقد سمت مجلتها التي اشتركت في إصدارها مع مجلات هارست (Hearst) «أو - مجلة أوبرا (**O – the Oprah Magazine**)».

وعندما سئلت عن سبب اختيار ذلك الحرف وحيدا ليكون اسما لمجلتها أجابت: «أحب حرف أو- O- لأنه بسيط ومباشر، وبه يناديني كثير من أصدقائي».

وقد لجأت أوبرا مجددا إلى طلب مساعدة صديقتها غايل، فعينتها رئيسة تحرير لمجلتها.

لكنها كانت مع ذلك تراقب أدق تفاصيل النشر، وهو ما جعل أهل الاختصاص يثيرون حولها زوابع من القلاقل والكلام، اتهمت فيها بأنها تبالغ



في مراقبة العمل وتزعج فريق العمل بذلك، لكن أوبرا ردت فقالت:

«أنا لم أفرط في المراقبة والتدقيق بقدر ما أردت أن تكون مشاركتي في التحرير فاعلة، إنكم إذ تريدون الحصول علي فلن تحصلوا على مجرد صورة أو مجسم أو موضوع أغنية، وإنما تحصلون علي بكل جوارحي».

وقد بيعت نسخ العدد الأول من العدد من مجلة «- أو- مجلة أوبرا» كلها وما تزال إلى الآن تحتل الصدارة، بأكثر من مليوني قارئ دائمين.

وبخلاف المجلات الأخرى الخاصة بالمرأة، والتي كثيرا ما اكتفت بإشارات سطحية لقضايا حساسة، كانت أوبرا حريصة على مراقبة محتوى المقالات لتتأكد من أن المواضيع المطروحة تعالج بالدقة وبالعمق ذاتيهما اللذين تناقشها بهما في برنامجها الحواري.

كما داومت أوبرا على كتابة ركن خاص بها كل شهر، وكانت صورتها تتخذ علافا للمجلة في كل عدد.

وفي شهر نيسان/ أبريل 2002، صرحت أوبرا بأنها ستعلق نشاطات نادي الكتاب بشكل مؤقت قائلة:

«سأواصل تقديم المزيد من الكتب عندما أحس أن ذلك أمر يستحق صدق وصايتي عليه».

كما واصلت أوبرا تسليط الضوء في برنامجها على قضايا تهم مشاهديه.

وكان العديد من ضيوفها أخصائيين نفسانيين وكتابا، زودوا المشاهدين بطرق لتغيير حياتهم نحو الأفضل.



من بين أولئك، كان الطبيب النفساني د.**فيل ماك غرو (Dr.Phil McGraw)**، الذي سرعان ما أصبح أحد أفضل ضيوف البرنامج بفضل أسلوبه الناجح «**عبر عن الأمر كما حدث بالضبط**».

وبفضل توصيات أوبرا المتكررة، أصبح للدكتور فيل برنامجه الخاص، الذي وانطلق عرضه في أيلول/ سبتمبر 2002 وحقق نجاحا باهرا.

وقد تولت إنتاجه شركة هاربو للإنتاج بالتنسيق مع تلفزيون بارامونت (Paramount).

وقال ماك غراو: « **تقديرها لشخصي ولقدراتي هو ما سمح لي باختيار الوجهة الصحيحة لمسار حياتي.. أوبرا نبع زاخر ومثل عال، أجدني سعيد الحظ إذا قلت إنها صديقة عزيزة وغالية**».

وعندما شارفت أوبرا على إطفاء شمعتها الخمسين، كشفت لجمهورها عن نيتها في إحياء عيد ميلادها في أجواء فخمة.

وقد كتبت أوبرا في عدد شهر تشرين الأول/ أكتوبر 2003 من مجلتها «أو» ما نصه:

«أنا على أهبة الاستعداد لأجعل العشرية القادمة من عمري جديرة بكل تقدير، وسأسعى للرقي بها نحو القمم، كما أعتزم أن أسمو بطموحي عاليا وأنا على مشارف الخمسين من عمري.. أنا أعلم أن الجميع يتمنون لو تكون هذه السنون الخمسون خمسين إنجازا أو على الأقل تسعة وأربعين تنظر تمام الخمسين».

وقد صدقت وينفراي جمهورها وعدها وكانت عند كلمتها.

وقد بدأ الاحتفال يوم الخميس 29 كانون الثاني/ يناير 2004، ببث مباشر لبرنامجها في حلقة خاصة منه كانت كلها مفاجآت أعدها من أجلها فريق عملها قبل أسابيع دون أن يشعروها بذلك.

قالت إيلين راكيتين (**Ellen Rakieten**)، مديرة الإنتاج ببرنامج أوبرا: «أبعدناها عن شركتها الخاصة وأخبرناها أن عليها المكوث في بيتها لأننا لم نكن لنسمح لها بدخولها».

كما نشطت صديقة أوبرا غايل كنيغ والممثل جون ترافولتا (**John Travolta**) برنامج «كوكبة النجوم»، الذي حل به ضيوف متميزون من قبيل المغنيين تينا تورنور (**Tina Turner**) وستيفيووندر (**Stevie Wonder**)، والمنشط التلفزيوني جاي لينو (**Jay Leno**).

كما أرسل عدد من المشاهير أصدق تهانيهم وأخلص أمانيهم لأوبرا عبر الأقمار الصناعية، ومن هؤلاء: الرئيس السابق لجنوب إفريقيا نلسون مونديلا، والحائز على جائزة نوبل للسلام دسيموند توتو (Desmond Tutu)، والممثلون توم كروز(Tom Cruise) وجوليا روبرتس (Julia Roberts) وجنيفر لوباز (Jennifer Lopez) وجنيفر أنستون (Jennifer Aniston)، بالإضافة إلى رائد الموسيقى كوينسي جونس والمخرج السينمائي ستيفن سبيلبرغ.

وإضافة إلى ذلك، حضر الاحتفال مجموعة من الأطفال السود من جنوب إفريقيا، الذين زارتهم أوبرا وأسبغت عليهم جناح رعايتها السخية وتمنوا لـ **«ماما أوبرا»** عيد ميلاد سعيدا.

أما الممثلة سيدني بواتييه (Sidney Poitier)، فقد شربت نخب أوبرا وتحدثت عن مآثرها في تغيير حياة الناس عبر العالم نحو الأفضل.

كما قدمت لأوبرا كعكة تزن 400 باوند (200 كيلوغرام)، رسمت عليها صور لها.

غير أن ذلك الاحتفال الباذخ لم يكن سوى البداية، ففي اليوم الموالي، نظمت مأدبة غداء خاصة بالنساء فقط، جمعت خمسين من صديقات أوبرا في فندق بال **آير (Bel Air) في لوس أنجلوس بكاليفورنيا (California).**

وفي مساء يوم السبت، حلت أوبرا ضيفة شرف في حفل رسمي، استضافها فيها جيرانها في مونتيسيتو (Montecito) في كاليفورنيا بحضور أكثر من مائتي

شخصية شهيرة من بينهم أرنولد شوارزنجر (Arnold Schwarzenegger) ومادونا (Madonna).

وقد قدم العشاء في أطباق مميزة صنعت خصيصا لأوبرا من الخزف الصيني والزجاج، وزين المكان بأكثر من مائة ألف زهرة سحلب (أوركيديا)، وصممت به ساحة رقص واسعة حول مسبح خصيصا للمناسبة.

وقد كلف هذا الحفل الفخم منظميه ملايين الدولارات.

وبعد احتفال عيد ميلادها المميز، بحثت أوبرا عن طريقة تكافئ بها هي الأخرى جمهورها، واهتدت أخيرا على واحدة.

ففي يوم الاثنين 13 أيلول/ سبتمبر 2004، خلال بث أول عدد من البرنامج في موسمه التاسع عشر، طلبت من أحد عشر شخصا من الجمهور الصعود إلى المنصة، وأعطت كلا منهم مفاتيح سيارة بوناتيك جي- 6 (Ponatic G-6)، التي تبلغ تكلفة الواحدة منها 28 ألف دولار مهداة من جنرال موتورز (General Motors).

ولم يكن هذا كل شيء، فقد أعطت كل من بالقاعة علبة هدايا وقالت: **«أحدكم يملك في علبته مفاتيح السيارة الثانية عشرة، ثم صاحت فجأة: «بل إن كلا منكم سيحصل على سيارة»**.

فاهتز الأستوديو بمن فيه بالتصفيق والهتاف.



وقد اختير من الجمهور من قد اختير لأنهم أو لأن فردا من عائلاتهم كتب إلى أوبرا يخبرها أن به حاجة إلى سيارة جديدة.



وقد قيل عن ذلك لاحقا أن الهدايا لم تكن هبات حقيقية، لأن كل من حصل على سيارة كان عليه دفع سبعة آلاف دولار ضريبة لها، لذلك كان على مالك السيارة الجديد أن يختار بين إعادتها أو الاحتفاظ بها مقابل تسديد ضريبتها أو بيعها والاحتفاظ بالفائدة.

ولم تكن السيارات هدايا أوبرا الوحيدة ذلك اليوم، فقد أهدت شابة يافعة قضت حياتها مشردة في رعاية المحسنين خزانة ملابس ملأى بقيمة عشرة آلاف دولار ومنحة دراسية كاملة لمدة أربع سنوات بالجامعة.

وقد واصلت أوبرا تشجيع الناس على القراءة، وربحت التحدي مع جمهورها حينما أعادت بعث نادي أوبرا للكتاب في العام 2004.

مستهلة إياه برواية الثمانمائة صفحة وصفحة الكلاسيكية المعنونة بـ «آنا كارنينا (**Anna Karenina**)» لمؤلفها ليو تولستوي (**Leo Tolstoy**) لتتبعها برواية القرن العشرين «القلب صياد وحيد» لـ كارسون ماك كالرز (**Carson McCullers**).

لطالما حافظت أوبرا على علو همتها، سواء أكانت تمثل دورا أو تقرر حقيقة أو تنتج فيلما أوتنشر مجلتها أو تدير مؤسستها الإعلامية أو تقدم برنامجها الحواري أو تتبرع بأكثر من خمسين مليون دولار لأعمال الخير أو تشجع الملايين على النهوض بحياتهم والرقي بها.

لقد برهنت أوبرا أن المصاعب لا تساوي شيئا أمام قلب جلد وعزم من حديد وروح إيجابية وطاقة لا حدود لها.

إن الفرص التي تهبها الحياة لا حصر لها ولا عد..



مساكن لخير الإنسانية

جذب الأخصائي النفساني الدكتور فيليب س ماك غرو حوالي خمسة ملايين مشاهد يوميا.

وقد كان شخصية أثارت حولها الكثير من الجدل، وكان منهجه في برنامجه استشاريا، لكن العديد من النقاد حكموا عليه بأنه شديد السلبية وصريح أكثر من اللزوم، ففي أكثر من مناسبة، كان ماك غرو يخاطب ضيوفه بلهجة تكساس الأصلية البطيئة قائلا مثلا: «يالك من غبي !!».

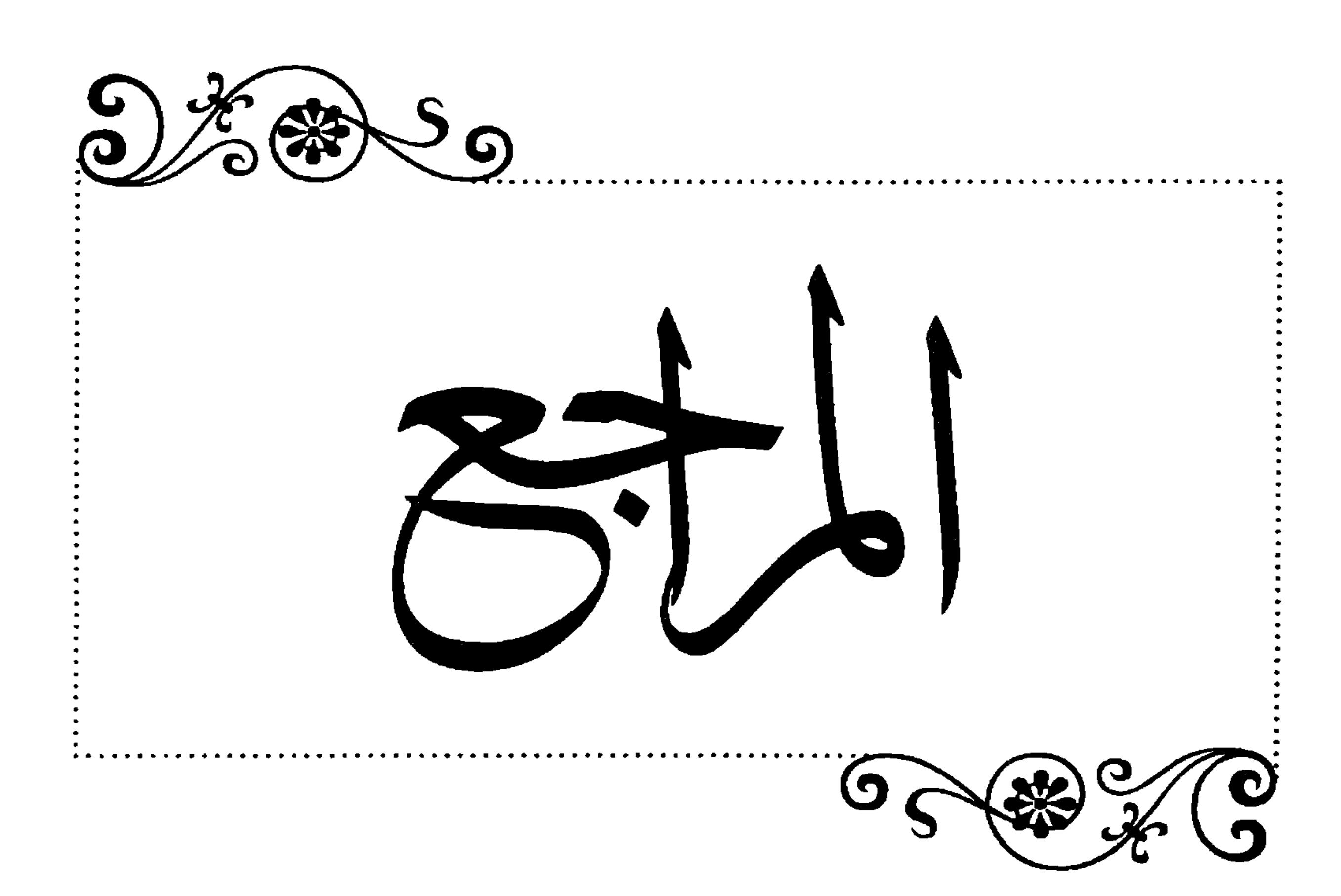
وقال ماك غرو أن أسلوبه ذاك ما هو إلا طريقة لتشجيع الناس على أن يكونوا واقعيين.

أما أهل الاختصاص، فقد اتهموه بأنه لم يكن يبالي بالدوافع النفسية لسلوك الناس كالتوتر أو العصبية.

وقال فيل: «أنا لست ملكا لجميع الناس»

ولكن كتب الدكتور فيل مع ذلك حققت أعلى نسب المبيعات ومن أهم العناوين: «العائلة أولا»، «كن واقعيا»، «استراتيجيات للحياة»، «إدارة الذات»، الحل الأمثل للبدانة»...




المراجع


قائمة
المراجـع
155

قائمة المصادر والمراجع




- Westen Robin Oprah Winfrey I Dont Believe in Failure Enslow Editions USA 2005.

أ. الكتب والمعاجم:

- Arabic New Van Dyck Bible, The Bible Society of Egypt, Cairo, Egypt, 3rd Edition, 2006.
- Darragh, Glenn, A to Zed, A to Zee, a Guide to the Differences between British and American English, Editorial Stanley, 1st edition, 2000.
- The Bilingual DICTIONARY English-Arabic /Arabic-English, Dar Al-Kotob Al-Ilmia, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2004.



- McMillan English Dictionary for Advanced Learners, International Student Edition, 2nd edition, 2007.
- The Oxford Dictionary of American English for Learners, Oxford University Press, New York, 1st edition, 2005.
- Oxford guide to British and American Culture, Oxford University Press, 2nd edition, 2005.

د. الكتب والمعاجم:

- http://www.ar.wikipedia.org
- http://www.atida.org/forums
- http://www.ebibleteacher.com
- http://www.en.wikipedia.org
- http://www.googletranslate.com
- http://www.oprah.com





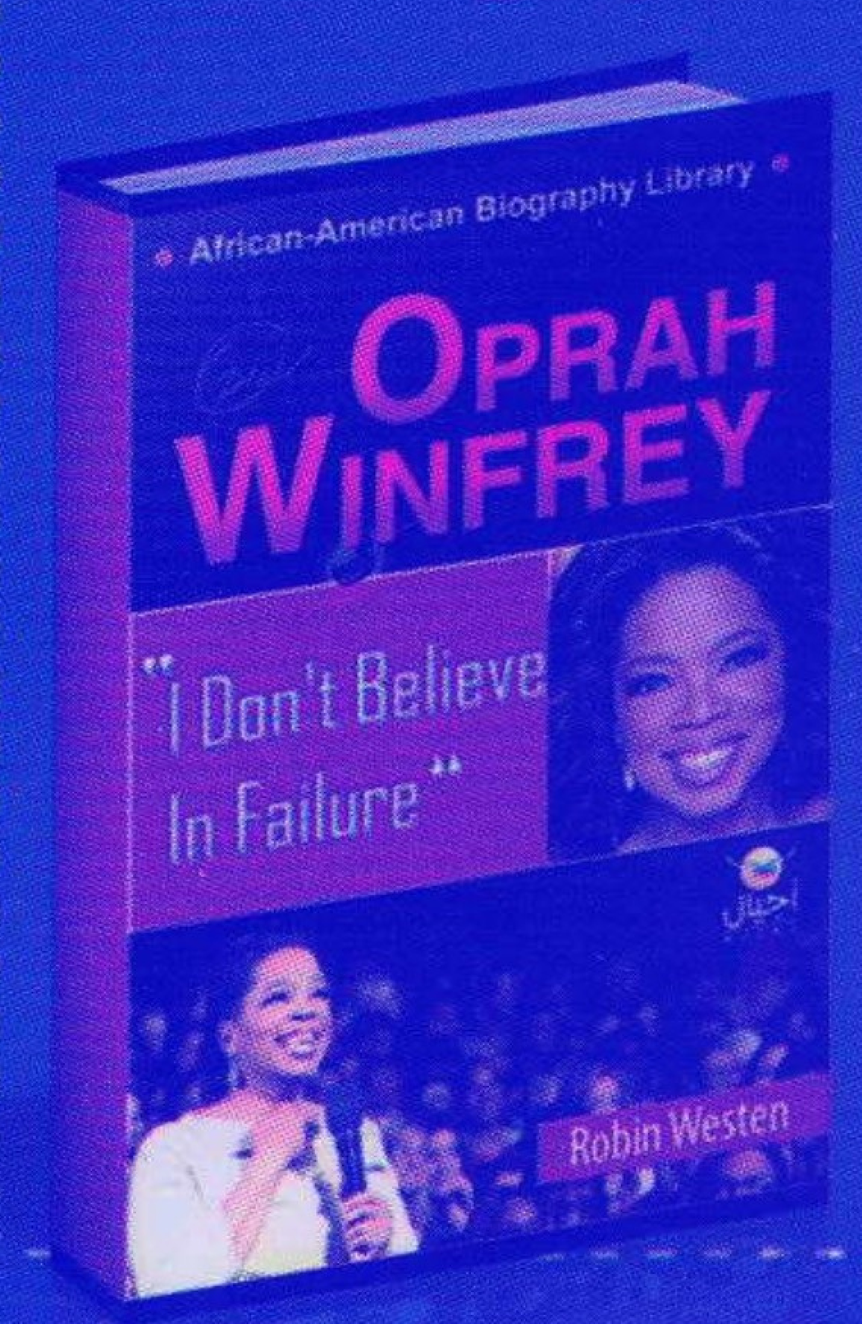
حَوِّل جراحك إلى حكمة ..

بهذه الطريقة كونت "أوبرا" شخصيتها، فتاة ولدت لأب يعمل حلاقاً، وأم تعمل خادمة، نشأت في مجتمع يشتهر بالتمييز العنصري، وتعرضت للإيذاء النفسي والجسدي في مبتدأ حياتها، تلهمنا أن لا سبيل للرقي مهما واجهنا من مصاعب، سوى بجهدنا في تحويل كل أزمة إلى انتصار وخبرة تفيدنا في قادم الأيام.

أوبرا امرأة مليارديرة وضعتها مجلة فوربس ضمن أكثر 10 شخصيات تأثيراً في مجال الإعلام والاقتصاد، يشاهد برامجها عشرات الملايين حول العالم، حاورت رؤساء وسياسيين وقادة .. يكفي أن تستضيفك أوبرا في برنامجها لتصبح حديث العالم.

والسؤال : كيف وصلت أوبرا إلى هذه المكانة ؟.

"أؤمن أن الحظ هو التقاء التحضير مع الفرصة" هكذا تقول أوبرا لمن يظن أن الحظ أو الصدفة هما العاملان المحددان لمسيرة الناجحين، إن للنجاح خطوات يمكنك استلهامها من سير العظماء والمؤثرين وتتبع خطواتهم، وهذا ما حاولت "روبن واستون" أن تخبرنا به من خلال هذا الكتاب عبر استعراض لقصة حياة "أوبرا وينفري"، وتحليل لبعض الجوانب الهامة في شخصيتها، كشفت "واستون" الكثير من التفاصيل والأسرار في حياة أوبرا منذ ميلادها وحتى وصولها إلى القمة ..



لتؤكد لنا أن ملامسة الأحلام ليس مستحيلاً شريطة أن تؤمن أنت أولا أن المستحيل هو مجرد وجهة نظر ..!



دار أجيال للنشر والتوزيع
www.dar-ajial.com
هاتف : 01224242437 (2+)


ISPN 978 - 977 - 6277 - 48 - 9
9 789776 277489